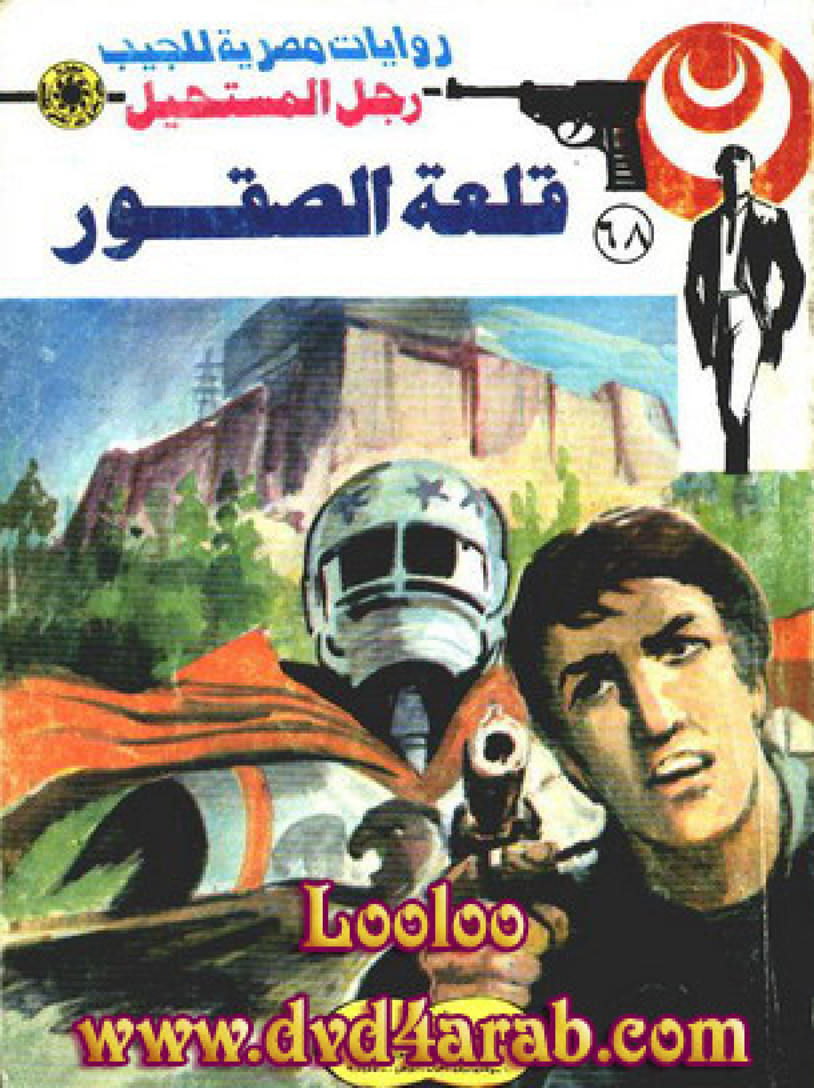


روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
قلعة الصقور
٦٨
Looloo
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ الزيارة ..

مالت الشمس إلى الغروب ، وألقت ضوءها الشاحب الأخير على تلك البناية الأنيقة ، التى تحتلُ ناصية كاملة ، لشارعيْن هادئيْن ، فى حىّ (مدينة المهندسين) ، فى قلب (القاهرة الكبرى) ، وتطلّعت سيْدة تميل إلى البدانة ، فى أواخر الأربعينات من عمرها ، تشفُ ملامحها عن جمال مُبهر فى شبابها ، إلى سيّارة صغيرة ، من طراز شائع الاستخدام فى (مصر) ، توقّفت أسفل البناية ، وهتفت بزوجها فى شغف :

ــ يبدو أن جارنا الغامض سيقضى هذه الليلة فى شقته ، على خلاف عادته .

سألها زوجها فى حَيْرة :

ــ مَنْ تقصِدين ؟

أجابته فى اهتمام :

ــ ذلك الوسيم ، الذى يقيم فى الطابق السادس .

نهض من مقعده ، واقترب من حاجز الشُرفة ، مغمغمًا :

— أتقصدين الأستاذ (أدهم) ؟

هتفت فى شغف :

— نعم .. (أدهم صبرى) .

تطلّع زوجها فى إعجاب إلى (أدهم) ، الذى هبط من سيارته فى هدوء ، وغمغم :

— إنه شاب ممتاز .

التفتت زوجته إلى ابنتهما الوحيدة (هيام) ، الطالبة بكلية الآداب ، وهى تقول فى اهتمام :

— إنه كذلك بالتأكيد .. أليس كذلك يا (هيام) ؟

هزّت (هيام) كتفيها فى لامبالاة ، وهى تغمغم :

— إننى أراه رجلًا عاديًا .

هتفت بها أمها فى استنكار :

— كيف ؟!.. إنه شاب وسيم ، هادئ الطباع ، جمّ التهذيب ، ثم إنه رجل أعمال ، و .....

قاطعتها (هيام) فى ضجر :

— إننى أكره هادئى الطباع ، فحياتهم — فى العادة — خاملة ، تفتقر إلى الإثارة .

أجابتها أمها فى صرامة ، وهى تجذبها نحو حاجز النافذة :

— ولكنها حياة مستقرّة ، خاصةً وأنه شاب رقيق ، و .....

ولكزتها بمرفقيها ، مستطردة فى لهجة ذات مغزى :

— وعَزَب .

قلبت (هيام) شفتها السفلى ، وهى تغمغم :

— إنه ليس من ذلك النوع الذى يروق لى ، فأنا أكره الحياة الخاملة .

قال والدها ، وهو يتطلّع إلى سيّارة سوداء كبيرة ، توقّفت إلى جوار (أدهم) :

— إنه كثير الأسفار ، ويزاول رياضة العَدْوِ كل صباح

هزّت (هيام) كتفيها ، وهى تتأمّل الرجال الثلاثة ، الذين هبطوا من السيّارة السوداء ، ووقفوا يتحدّثون إلى (أدهم) ، وهى تغمغم فى استنكار :

— ليس هذا ما أقصده بالحياة المثيرة ، إن هذا الرجل ، على الرغم من أسفاره المتعدّدة ، التى يجهل الجميع مبرّرها ، ومزاولته لرياضة الجَرْى ، فهو — على كل الأحوال — هادئ ، خامل ، و .....

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها فى ذعر وذهول ، وهى تهتف فى انفعال :

— يا إلهى !!.. إنه يتقاتل مع هؤلاء الرجال ، و .....

دعنا لانتابع حديث (هيام) ؛ فهو لن يحمل سوى كلمات الدهشة والحَيْرة ، والوسيلة الوحيدة لفهم ذلك الموقف ، الذى رأته مع والديها ، هو أن نعود بضع دقائق إلى الوراء ، ثم نعود مرّة أخرى إلى رواية الأحداث ، ولكن ..

من زاوية جديدة ..

* * *

أوقف (أدهم) سيّارته الصغيرة أمام البناية ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، يَشفّ عن هدوء أعصابه ، وارتياحه ، بعد أن أوصل زميلته (منى) — منذ لحظات — إلى منزلها ، وودّعها بعبارة عاطفية رقيقة ، استقبلتها بابتسامة خجل ، قبل أن تلوّح له بكفّها ، وتفرّ مع حيائها إلى منزلها ..

وهبط من سيّارته فى هدوء ، وهو يواصل إطلاق ذلك الصّفير المنغوم ، وغمغم فى سخرية :

— عجبًا !!.. إننى أشعر بالاشتياق الشديد لشقتى .. يبدو أننى أقضى فى العمل وقتًا أطول عادةً .

ابتسم ، وهو يخطو نحو مدخل البناية ، ثم توقّف فجأة ، حينما سمع صوت سيّارة تتوقّف خلفه ، ورجل يهتف به بالإنجليزية :

— لحظة يا مستر (أدهم) .

التفت (أدهم) إلى مصدر الصوت فى هدوء ، ورأى أمامه ثلاثة رجال يغادرون السّيارة ، وأحدهم يستطرد :

— من حسن حظنا أن وجدناك .

دار بصر (أدهم) فى وجوه الرجال الثلاثة ، وتوقّفت عيناه عند تلك الانتفاخات الواضحة فى ستراتهم ، والتى لم يخطئ إدراك معناها ، وهو يقول فى برود :

— أظن أنه من الأفضل أن تخبرنى أوّلاً من أنتم ؟.. وماذا تريدون منّى بالضبط ؟

امتدّت يد الرجل نحو الانتفاخ الواضح فى سترته ، وهو يجيب :

— ستعرف ذلك حالاً .

لم يمهله (أدهم) حتى تصل يده إلى ذلك الانتفاخ ، الذى يَعْنى وجود مسدّس معلّق بذراعه ، خلف سترته ، وعاجله بلكمة قويّة ، ألقت به أرضًا ، ثم التفت نحو الرجلين الآخرين ، وارتفعت قدمه تركل أوّلهما فى معدته ، وواصلت ارتفاعها ؛ لتركل نفس الرجل فى فكّه ، فى تعاقب مذهل ، فائق السرعة ، ثم انحنى وهو يدور على عَقِبَيْه ، ويلكم الأخير

فى فكه ، ويلقى به فوق مقدمة السيّارة ، ثم عاد إلى الأوّل فى حركة سريعة ، وجذبه من سترته ، وانتزع المسدّس الذى يخفيه أسفلها ، وصوّبه إليه قائلاً فى صرامة ساخرة :

ـــ معذرة لهذه المقاطعة البسيطة .. والآن ماذا كنت تريد ؟

غمغم الرجل فى حَنَق :

ـــ لقد أخطأت فهم الأمر ، إننى لم أكن أنوى التقاط مسدّسى ، بأىّ حال من الأحوال ، وإنما كنت سأعطيك بطاقتى .

وأعقب قوله بأن التقط من جيب سترته الداخلىّ حافظة جلديّة صغيرة ، ناولها إلى (أدهم) ، الذى فتحها فى سرعة ، وألقى نظرة سريعة على صورة الرجل ، التى تتوسّط بطاقة بلاستيكية أنيقة داخل الحافظة ، وإلى تلك الشارة التى تحتل الجانب الآخر كله ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـــ هل تقصد أنك ......؟

قاطعه صوت هادئ رصين ، من داخل السيّارة :

ـــ نعم .. إنه أحد رجالى يا مستر (أدهم) .

رفع (أدهم) عينه إلى صاحب الصوت فى سرعة ، وأدهشه أنه لم يلحظ وجوده داخل السيّارة من قبل ، ثم

لم يلبث أن فهم كل شىء ، فقد كان ذلك الكهل ، الذى يختفى فى مقعد السيّارة الخلفىّ ، هو (توماس ألبى) .. رئيس جهاز المخابرات المركزية الأمريكية ..

* * *

هتف والد (هيام) فى دهشة ، وهو يشير إلى ما حدث :

ـــ أهذا هو الذى تتّسم حياته بالخمول ؟

أجابته ابنته فى صوت لاهث ، من فرط الإثارة والانفعال :

ـــ يا له من رجل !! هل رأيت كيف أطاح بالرجال الثلاثة فى لحظات يا أبى ؟ .. هذا هو الطراز الذى يرُوق لى من الرجال .

عقدت أمها حاجبيها ، ومطّت شفتيها ، وهى تغمغم :

ـــ والذى لا يرُوق لى .

تألّقت عينا (هيام) ، وهى تتطلّع إلى (أدهم) فى إعجاب ، دون أن تنبس ببنت شفة ، على حين هتف والدها فى دهشة :

ـــ يا إلهى !! ماذا يحدث هنا بالضبط ؟ .. لقد خرج رجل رابع من السيّارة .. إنه كهل وقور ، والسيّد (أدهم) يصافح أربعتهم فى هدوء ، بعد أن أشبع ثلاثة منهم ضربًا .. أى جنون هذا ؟!

غمغمت (هيام) فى انبهار :

ــ ليس جنونًا يا أبى ، بل هناك سرٌّ غامض خلف كل هذا .

وصمتت لحظة ، ثم أردفت فى شغف :

ــ أراهنكما أن جارنا السيِّد (أدهم صبرى) لا يحيا حياة عاديَّة .

غمغم والدها معترضًا :

ــ إنه رجل أعمال يا بنيَّتى ، و .....

قاطعه فى خفة :

ــ أى نوع من الأعمال ؟

غمغم فى دهشة :

ــ ماذا تقصدينَ ؟

أجابته فى حماس :

ــ إن أحدًا فى بنايتنا كلها ، لا يعلم أىَّ عمل يزاول السيِّد (أدهم) بالضبط .. كل مانعلمه هو أنه رجل أعمال ، كثير الأسفار ، قلَّما يتواجد فى منزله ، ولكن أى نوع من الأعمال هذا ؟.. لا أحد يعلم ..

غمغم والدها فى حَيْرة :

ــ ربَّما كان تاجرًا ، أو .....

قاطعته فى انفعال :

ــ أو ماذا ؟.. وأيَّة تجارة يزاول ؟

هزَّ والدها كتفيه فى حَيْرة ، وهو يعجز عن إجابة سؤالها ، فعادت عيناها تتألقان بالإثارة ، وهى تقول فى انفعال وانبهار :

ــ كلَّا يا والدى .. إن السيِّد (أدهم صبرى) يزاول عملًا بالغ الخطورة ، ويحتاج إلى السرِّيَّة الكاملة .. إنه رجل من نوع خاصّ ..

* * *

جلس (أدهم) فوق مقعد وثير أنيق ، فى ركن رَدْهة منزله ، وتطلَّع إلى وجه (توماس ألبى) فى هدوء ، وهو يسأله :

ــ هل لى أن أعرف سرَّ زيارة رئيس المخابرات المركزية الأمريكية ، لمواطن مصرىّ بسيط مثلى ؟

عقد (توماس ألبى) حاجبيه الأشيبين الكثَّين فى ضيق ، وهو يقول :

ــ سأتظاهر بأننى لم أسمع عبارة (مواطن مصرى بسيط) هذه يا مستر (صبرى) ، فنحن نعلم أنك رجل مخابرات مصرىّ ، ولدينا ملفّ كامل عنك ، تؤكِّد كل صفحة فيه أنك رجل فذّ ، من طراز فريد ونادر ، كنَّا ومازلنا نتوق إلى مثله فى إدارتنا ، وهذا الملفّ يحوى كل التفاصيل عنك ، وعن انتصاراتك العديدة على المخابرات الإسرائيلية ، والسوفيتية ، و .....

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ــ والأمريكية .

مطَّ (توماس) شفتيه ، مهمهمًا فى اقتضاب :

ــ نعم .

ثم عاد يستطرد فى اهتمام :

ــ إنك باختصار ، الرجل الذى نحتاج إليه .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وعاد بمقعده إلى الوراء ، وهو يقول فى سخرية :

ــ أهو عرض للانضمام إلى صفوفكم ؟

أجابه (توماس) فى حزم :

ــ كلَّا .. وما كنت لأقدِّم لك مثل هذا العرض ، فمعلوماتنا تؤكِّد ــ بما لا يدع مجالًا للشك ــ أن ولاءك يقتصر على بلادك فقط .

مال (أدهم) إلى الأمام ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ ماذا تريد إذن ؟

صمت (توماس ألبى) لحظة ، ثم مال نحوه بدوره ، وهو يجيب فى لهجة حازمة ، وصوت خافت ، يشفَّان عن خطورة الأمر :

ــ إننا نحتاج إليك ، لأداء مهمَّة خاصَّة .

ثم تنهد فى عمق ، قبل أن يضيف فى قوَّة :

ــ مهمَّة لحساب المخابرات المركزيَّة الأمريكية .

* * *



صمت (توماس ألبى) لحظة ، ثم مال نحوه بدوره ، وهو يجيب فى لهجة حازمة ، وصوت خافت ، يشفَّان عن خطورة الأمر .

٢ ـ مهمَّة أمريكية ..

مضت لحظة من الصمت ، التقت خلالها نظرات (أدهم) و (توماس)، ثم اعتدل (أدهم)، وهو يقول فى هدوء :

ـ يبدو أن معلوماتك عنّى ليست كافية يا مستر (ألبى) ، فأنا أعمل فقط لحساب مخابرات وطنى .

أجابه (توماس) فى توتُّر :

ـ لن يتعارض هذا وذاك يا مستر (أدهم) .

تسلل بعض الاهتمام إلى لهجة (أدهم) ، وهو يقول :

ـ كيف ؟.. إنك تجعل الأمر يبدو أشبه بلغز سخيف يا مستر (ألبى) .

زفر (توماس) فى توتُّر ، قبل أن يقول فى جدّة :

ـ اسمع يا مستر (أدهم صبرى) .. إن المهمة التى أطلبك بشأنها بالغة السِّرِّيَّة ، وفى رأيى أنك الرجل الوحيد ، الذى يمكنه أداءها على النحو المنشود ، وهذا يعنى ألا يعلم سوانا ، وسوى هؤلاء الرجال الثلاثة ، الذين يصحبوننى ، والذين أثق فى ولائهم ثقتى بنفسى ، طبيعة تلك المهمَّة .

أراد (أدهم) أن يعترض فى هدوء ، ولكن (توماس) استوقفه بإشارة من يده ، وهو يستطرد فى سرعة :

ـ وستحصل على الثمن بالطبع .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يغمغم :

ـ الثمن ؟!.. معذرة يا مستر (ألبى) ، لقد وصلت فى موعد غير مناسب ، فلقد أغلقت متجرى ، ولست أنوى التعامل ، سوى مع عملائى القدامى .

عقد (توماس ألبى) حاجبيه الكثّين ، وهو يقول فى جدّة :

ـ حتى ولو كان هذا الثمن هو قائمة كاملة ، لأسماء وعناوين كل جواسيس (الموساد) ، فى الشرق الأوسط بأكمله ؟!

أطلق (أدهم) صفيرًا طويلًا ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ـ يا له من ثمن !!.. أيّة مهمَّة تنوى إسنادها إلىّ ، فى مقابل ذلك يا مستر (ألبى) ؟.. قتل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ؟!

تراجع (توماس) فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هل يُروق لك الثمن ؟

أجابه (أدهم) فى اهتمام :

ــ بالطبع ، ولكنه يفجّر فى رأسى عشرات الأسئلة .

غمغم (توماس) :

ــ مثل ماذا ؟

نهض (أدهم) ، ولوّح بكفّه ، قائلاً :

ــ مثل طبيعة تلك المهمّة العجيبة ، التى تستحق منكم ، أو منك على الأرجح ، التضحية بتقديم مثل ذلك الثمن لمخابراتنا ، على الرغم من الصداقة المتينة ، بينكم وبين (الموساد) !

عقد (توماس) حاجبيه ، ودسّ سيجاره بين شفتيه فى عصبيّة واضحة ، وأشعلها فى توتّر زائد ، ونفث دُخانها فى حدّة ، وهو يقول :

ــ إنها مهمّة عجيبة حقًا ، كما تقول يا مستر (أدهم) ، وجذورها عميقة قديمة ، تعود إلى نهاية الحرب العالميّة الثانية .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ــ الحرب العالميّة الثانية ؟!..

ثم عاد يجلس ، مستطردًا فى اهتمام :

ــ إنك تثير فضولى حقًا يا مستر (ألبى) .

نفث (توماس ألبى) دُخان سيجارته مرّة أخرى فى عصبيّة ، وقال :

ــ استمع إلىّ جيّدًا يا مستر (أدهم) ، حتى يمكنك استيعاب مدى خطورة الأمر .. أنت تعلم ــ مثلما يعلم الجميع ــ أن قنبلتنا الذرّيّة كان لها الفضل الأوّل فى وضع نهاية الحرب العالميّة الثانية ، ولقد ملأنا ذلك ــ حينذاك ــ فخرًا وقوةً واعتزازًا ، خاصّةً وقد جعلنا الدولة الأولى فى العالم .. ثم جاءت قضية (روزنبرغ)(*) ، التى جعلت السوفيت أيضًا يملكون سرّ القنبلة الذرّيّة ، وهنا أصبحنا نعتبرهم العَدُوّ رقم (واحد) لنا ، وبدأنا نتخذ أساليب الحيطة والحَذَر منهم ، وننتظر فى قلق أن يدعونا بالقتال ، أو أن يلجئوا إلى الحرب النوويّة ؛ لذا فقد كان علينا أن نتخذ كل الاحتياطات اللازمة ؛ لمنع حدوث ذلك .

(*) بعد الحرب العالمية الثانية ، كان الأمريكيون وحدهم يملكون سرّ القنبلة الذرّيّة ، حتى نجحت المخابرات السوفيتية فى تجنيد أحد علماء الطاقة الذريّة الأمريكيين ، ويدعى (روزنبرغ) ، وزوجته ، فنقل الاثنان تصميمات القنبلة الذريّة إلى (موسكو) ، ثم كشفت المخابرات الأمريكية أمرهما ، وألقت القبض عليهما ، وتمّ إعدامهما بالكرسى الكهربائى ، فى ١٩ يونيو ١٩٥٣

نفث دُخان سيجارته مرّة أخرى ، فى عصبيّة متزايدة ، ثم استطرد :

ـــ وحينما وضعنا خطّة الدّفاع ، وصل بنا الأمر إلى وضع احتمال احتلال السوفيت لدولتنا فى رءوسنا ، وقرّرنا أن نتخذ الاحتياط لذلك ، ومن هنا نشأت فرقة (الصقور) ..

غمغم (أدهم) فى اهتمام :

ـــ (صقور أوكونور) ؟!

تطلّع إليه (توماس) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـــ هل تعرف (صقور أوكونور) ؟!.. عجبًا !!.. كنت أظن أن ذلك يندرج تحت قائمة المعلومات السّرّيّة للغاية ، فى مؤسستنا العسكرية !!

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لقد أخطأت فى تصوُّرك هذا ، فلقد كان لنا عميل وسط صفوفكم ، منذ ما يقرب من عشرين عامًا ، نقل إلينا كل ما يتعلّق بـ (صقور أوكونور) ، حتى أنه بات لدينا مجرّد تاريخ قديم .

عاد (توماس) يتمتم مرّة أخرى فى دهشة :

ـــ عجبًا !!

وسحب أنفاس سيجارته فى حِدّة ، ثم نفثها ، مردفًا :

ـــ حسنًا .. إن (صقور أوكونور) عبارة عن وحدة مقاومة داخلية ، يقتصر عملها على مقاومة جيوش السوفيت ، إذا ما نجحوا فى احتلال البلاد ، ولقد أنشأ تلك الوحدة عقيد قديم ، يدعى (دافيد أوكونور) ، ومن هنا جاء تسميتها بوحدة (صقور أوكونور) ، وهى تضمّ مائة رجل ، من أفضل رجال مخابراتنا وجيوشنا ، وتقيم فى مقرّ خاصّ ، داخل قلعة تاريخية قديمة ، تحتلّ قمة جبل مرتفع ، على مشارف العاصمة (واشنطن) ، وهذه القلعة مجهّزة بوسائل دفاعية وهجومية فائقة ، حتى أنها تحوى ثلاثة صواريخ ذات رءوس نوويّة ، يتمّ توجيهها آليًا ، وقنبلة ذريّة خاصة ، يتمّ تفجيرها فى حالة اقتحام القلعة عنوةً ، ووسائل رصد وإنذار مبكّر فائقة .. باختصار ، إنها تعدّ أقوى حصن فى العالم أجمع .

ساد الصمت لحظة ، و (توماس) يزدرد لعابه ، فسأله (أدهم) فى اهتمام :

ـــ هل تمرّد (صقور أوكونور) ؟

رمقه (توماس) بنظرة طويلة ، قبل أن يغمغم :

ـــ أنت جمّ الذكاء يا مستر (أدهم) .. نعم .. هذا

ما حدث تقريبًا ، فمنذ إنشاء وحدة (الصقور) ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين ، كانت تتبع المخابرات المركزية ، وكان أفرادها يتلقَّون تدريبات خاصّة مكثّفة ، وتُفْرَدُ لهم ميزانية كبيرة ، تقدَّر بخمسة ملايين دولار سنويًا ، ومع مرور السنين ، فتر الحماس تجاه وحدة (الصقور) ، ولم يَعُد أحدٌ يهتمّ بتدريبهم ، أو مناقشة ميزانيتهم ، التي ظلّت بنفس القدر ، على الرغم من وصول قائد الوحدة (دافيد أوكونور) إلى رتبة جنرال ، إلى أن تمّ توقيع معاهدة الحدّ من الأسلحة النووية ، ورأى البعض أنه لم يَعُد هناك داعٍ لاستمرار بقاء الوحدة ، فصدر القرار بحلّها ، وإحالة جميع أفرادها إلى التقاعد ..

جذب أنفاس سيجارته في عصبيّة ، تشفّ عن وصوله إلى أخطر أجزاء القصة ، قبل أن يستطرد :

— وطوال تلك السنوات ، وعلى الرغم من إهمال أمر الوحدة ، واصل (دافيد أوكونور) تدريب رجاله ، وبثّ القوة في عروقهم ، حتى صاروا يدينون له بولاء شديد ، ويعتبرونه ليس فقط قائدهم ، وإنما والدهم الروحيّ أيضًا .. وعندما صدر قرار حل الوحدة ، ثار (أوكونور) ، ورفض تنفيذ القرار في شدّة ، ثم اختفى لعدة ساعات ، عاد بعدها ليعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية كلها .

غمغم (أدهم) في دهشة :

— الحرب ؟!

أجابه (توماس) في حنق :

— نعم .. الحرب .. لقد طلب هذا الحقير الإبقاء على وحدته ، وزيادة ميزانيتها إلى مليار دولار سنويًا ، بحصّة وحده منها اثني عشر مليونًا ، بواقع مليون دولار شهريًا ، وإلّا أطلق صواريخه ذات الرءوس النوويّة على (نيويورك) ، و (واشنطن) ، والأخطر أنه هدّد بإطلاق أحد صواريخه على (موسكو) ، وأنت تعلم ما يعنيه ذلك .. إنه يعني نشوب الحرب النوويّة بيننا وبين السوفيت ، وتحطيم نصف العالم من جرّاء ذلك .

سأله (أدهم) في اهتمام :

— وماذا فعلتم ؟

أجابه في سخط :

— لم يكن أمامنا سوى تنفيذ مطلبه ، والرضوخ له ، حتى أنه يحيا ، منذ عام كامل ، حياة المليارديرات ، وينفق في بذخ ، هو ورجاله ، الذين أصبحوا دولة داخل دولة ، وأصبحوا مصدر تهديد دائم لنا ، في الداخل والخارج .

ران الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) فى هدوء :

ـ ما المطلوب منّى بالضبط ؟

غمغم (توماس) فى انفعال :

ـ الكثير ..

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى توتّر :

ـ من الطبيعى أننا لن نستمرّ فى الرضوخ لـ (أوكونور) اللعين طويلاً ، فهو يزداد طغيانًا ، يومًا بعد يوم ، ولقد درسنا كل احتمالات مواجهة الموقف ، واستبعدنا منذ البداية فكرة الهجوم الانتحارىّ المسلّح ، حتى لايطلق (الصقور) الصواريخ النوويّة ، فى حال شعورهم بحتمية الهزيمة ، وكذلك استبعدنا محاولات التسلّل ، نظرًا لدقّة أجهزة الرصد والدفاع داخل القلعة ، وحتى فكرة قطع التيار عن القلعة ؛ لإيقاف كل أجهزتها الإليكترونية ، تم استبعاده على الفور ؛ نظرًا لأن القلعة مزوّدة بمولّد تيار خاصّ إضافىّ .. وبعد دراسة كل الاحتمالات ، بات واضحًا أن ضرب الصقور ، وكسر شوكتهم ، لن يتأتّى من الخارج ، بل من الداخل .. من داخلهم .

نفث دُخان سيجارته ، وازدرد لُعابه لحظة ، ثم أردف فى انفعال :

ـ ولكن صقور (أوكونور) المائة يدينون له بولاء شديد ، حتى أنه من المستحيل أن يخونه أحدهم ، مهما منحناه من مزايا وهبات ، و (أوكونور) يعرف كل رجل فى إدارتنا ، بحكم كَوْنه أحدنا ، ومن المستحيل أن نؤهّل رجلاً جديدًا لمثل هذه المحاولة المخيفة .. باختصار ، وجدنا أننا نحتاج إلى رجل واحد .. رجل يجهله (أوكونور) ، ولكنه يمتلك قدرًا كافيًا من المهارات والذكاء ، لخداع هذا الأخير ، وإقناعه بضمّه إلى صقوره ، حيث يمكن تدميرهم من الداخل

وزفر فى قوّة ، قبل أن يتابع فى حِدّة :

ـ إننا نحتاج إلى رجل من خارج إدارتنا ، يملك ذكاء الثعالب ، وشجاعةَ الأسود ، وحَذَرَ النمور ، وسرعة الثعابين ، وقوّة النسور .

ورَمَق (أدهم) بنظرة حاسمة ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ إننا ـ باختصار ـ نحتاج إليك .

رانَ الصمت لحظة ، ثم ابتسم (أدهم) ، قائلاً فى هدوء :

ـ إنها مهمة بالغة الصعوبة حقًّا يا مستر (ألبى) ، ولكنها تروق لى ، خاصّةً مع الثمن الذى تعرضه ، والذى سيسرّ مخابراتى كثيرًا .

قال (توماس) محذرًا :

ــ لا ينبغى أن تعلم مخابراتك بالأمر .. احصل على إجازة ، أو تصرّف على أى نحو يروق لك ، ولكن لا تجعل أحدًا يعلم بالأمر ، حتى تنتهى منه على الأقل .

عقد (أدهم) حاجبيه مفكّرًا بعض الوقت ، ثم انبسطت أساريره ، وابتسم ، وهو يقول فى حزم وثقة وهدوء :

ــ اتفقنا يا مستر (آلبى) .. إننى أقبل المهمّة .. أقبل أن أقتحم وحدى (قلعة الصقور) .

* * *

٣ ــ الطاغية ..

توقّفت ثلاث سيّارات فاخرة ، من طراز (رولز رويس)، أمام أفخر كازينو ليلى فى قلب (نيويورك) ، وقفز من السيّارتين السّوداوين ، الأولى والأخيرة ، عشرة رجال ، أسرعوا يصطفّون فى صفين متقابلين ، على جانبى مدخل الكازينو الأنيق ، ثم هبط سائق السيّارة الوسطى ، البيضاء ، فى حُلّته الأنيقة ، وقفازيه البيضاوين ، وفتح بابها الخلفى ، ووقف ثابتًا فى احترام ، حتى هبط من السيّارة رجل ممشوق القوام ، متين البُنيان ، شديد الأناقة فى حُلّته البيضاء ، ورباط عنقه القصير ، وجمُّ الوسامة بوجهه الحليق ، وفَوْدَيْه الأشيبين ، وهو يبدو فى نهاية الأربعينات من عمره ، على الرغم من تجاوزه لسنّ الستين بعام وبضعة أشهر ..

وأسرع مدير الكازينو يستقبل الرجل فى احترام بالغ ، وهو ينحنى أمامه ، قائلًا :

ــ مرحبًا يا جنرال (أوكونور) .. إنه لمن دواعى الشرف أن تختار ملهانا المتواضع ، لقضاء سهرتك .

رمقه (دافيد أوكونور) بنظرة باردة ، وهو يقول :
ـــ بالفعل .
ثم سار فى عظمة بين صفّىْ صُقوره ، حتى عبر بوّابة الكازينو ، فاندمج الصُّفّان خلفه فى صف واحد إلى داخل الكازينو ، حيث احتلّ (أوكونور) مائدة خاصّة ، أمام منصّة العرض مباشرةً ، واحتلّ رجاله العشرة مائدتين أخريين على جانبيه ، وهتف (أوكونور) فى لهجة آمرة :
ـــ فليبدأ برنامج السهرة على الفور ، وليتناول الجميع (الشمبانيا) على نفقتى .
انحنى مدير الكازينو ، وهو يقول فى احترام :
ـــ كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .
كان الموعد المحدّد ؛ لبدء برنامج السَّهرة ، هو بعد ساعة قادمة ، وكان بعض روّاد الكازينو لا يميلون إلى تناول (الشمبانيا) ، ولكن البرنامج بدأ على الفور ، وانتشر السُّقاة يملئون الموائد بزجاجات الشمبانيا ، دون أن ينبس أحد الحاضرين بكلمة اعتراض واحدة ، حتى وضع أحد السُّقاة زجاجته فوق مائدة صغيرة ، يجلس إليها رجل وسيم ، وفتاة جذّابة هادئة الملامح ، فالتقط الرجل الزجاجة ، وأعادها إلى السَّاقى ، وهو يقول فى بُرود :

ـــ لا داعىَ .. إننى لا أتناول أيّة مشروبات روحية .
ارتبك السَّاقى ، وارتجف صوته وأصابعه ، وهو يومئ إلى مائدة (أوكونور) ، مغمغمًا فى اضطراب :
ـــ لقد أمر الجنرال (أوكونور) بذلك ، و .....
قاطعه الرجل فى صرامة ، وبصوت مرتفع ، وكأنه يتعمّد أن يصل صوته إلى (أوكونور) ورجاله :
ـــ قلت لك إننى لا أتناول المشروبات الروحية .
عقد (أوكونور) حاجبيه فى غضب ، وألقى نظرة ساخطة على رجاله ، فنهض اثنان منهم ، واتجها نحو مائدة الرجل والفتاة ، على حين ازداد اضطراب السَّاقى ، وهو يغمغم :
ـــ سيّدى .. أرجوك ضع الزجاجة أمامك ، ولا داعى لأن تتناول منها جرعة واحدة .. إننا نكره المشاكل هنا .
نهض الرجل ، الذى لم يكن سوى (أدهم صبرى) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى برود :
ـــ لو أنك تكره المشاكل بالفعل ، فخذ الزجاجة وابتعد من هنا بسرعة ، قبل أن أحطِّم أنفك .
امتقع وجه السَّاقى ، ونبض قلبه فى هلع ، وقد أعجزته

الخَيْرة عن اتخاذ أيّة قرارات ، حتى انتزعت يد قويّة الزجاجة من يده ، وسمع صوتًا صارمًا خشنًا ، يقول :

— دَعْ عنك هذه المهمّة يا رجل ، وانصرف من هنا .

أسرع السّاقى ينصرف ، على حين اتجه مدير الكازينو نحو المائدة ، قائلًا فى ارتباك :

— لا داعىَ للمشاكل أيها السادة .

قال صاحب الصوت الخشن فى لهجة صارمة :

— لن تحدث أيّة مشاكل .

ثم نزع سدادة زجاجة (الشمبانيا) فى حركة سريعة قويّة ، وفى صوت مُدوٍّ كالقنبلة المكتومة ، وصبّ بعض المشروب فى كأس (أدهم) و (منى) ، وبعضه فى كأس ثالثة ، رفعها عاليًا ، وهو يقول فى صوت صارم مرتفع :

— فليشرب الجميع نخب الجنرال (دافيد أوكونور) .

— رفع جميع روّاد الكازينو كئوسهم فى قلق ، على حين اكتفت (منى) بابتسامة ساخرة ، وبقى (أدهم) هادئًا ، عاقدًا ساعديه أمام صدره فى برود ، ومتطلّعًا إلى صاحب الصّوت فى جمود ، فعقد الرجل حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى صرامة :

— لقد قلت الجميع .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— عجبًا !!.. إننى لم أسمع ذلك ، لقد خِلْتك تعتذر لى ولزميلتى .

ضغط الرجل أسنانه فى غضب ، وعقد (أوكونور) حاجبيه فى استنكار ، على حين نهض أربعة صقور آخرين ، لينضمّوا إلى زميليهما ، عند مائدة (أدهم) و (منى) ، وقال أحدهم فى حِدّة :

— هل يرُوق لك ألا تحتاج إلى فرشاة أسنان أبدًا يا صاح ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وهو يقول فى سخرية :

— سيبدو ذلك طريفًا .. هل اخترعت بديلًا لها ؟

صاح الرجل فى غضب :

— نعم .. وهو يسمى تحطيم الأسنان . و .....

وفجأة ، وقبل أن يزيد الرجل حرفًا واحدًا ، انطلقت قبضة (أدهم) الفولاذية كالقنبلة ، لتهوى على فمه ، وتحطّم أسنانه ، و (أدهم) يقول فى سخرية :

— أتعنى هكذا ..؟!

وفجأة ، وقبل أن يزيد الرجل حرفًا واحدًا ، انطلقت قبضة (أدهم) الفولاذية كالقنبلة لتهوى على فمه ، وتحطِّم أسنانه ..

وكانت هذه اللكمة إيذانًا ببدء الجولة الأولى من المعركة .
بين (أدهم) و (منى) .. وصقور (أوكونور) .

* * *

اتسعت عيون الجميع ذهولًا ، إزاء تلك المفاجأة ، التى لم يتوقَّعها أحدهم قطُّ ..

روَّاد الكازينو ، ومديره ، والعاملون فيه .. وحتى (أوكونور) ورجاله الأربعة ..

الوحيدون الذين لم يشعروا بالذُّهول ، كانوا رجاله الستة ، الذين اشتبك معهم (أدهم) و (منى) ..

لم يجدوا الوقت لذلك ..

لقد حطَّم (أدهم) أسنان الرجل ، ثم دار على عقبيه فى سرعة مذهلة ، ولكم رجلًا ثانيًا فى أنفه ، وقفز فى مرونة ورشاقة ؛ ليركل الثالث فى فكِّه ، والرابع فى معدته ، على حين التقطت (منى) زجاجة (الشمبانيا) فى سرعة ، وهوت بها على رأس الخامس ، ثم ركلت السادس بكل قوتها بين ساقيه .
وتركت لـ (أدهم) مهمة وضع اللمسات الأخيرة للمعركة ، وانتزعت هى مسدسها الصغير من حقيبتها ، وصوَّبته نحو (أوكونور) ورجاله الأربعة ، وهى تقول فى لهجة تجمع ما بين الحزم والسخرية :

— مهلاً يا رجال .. حركة واحدة ويزيّن رأس كل منكم ثقب مخيف .

ولكن رجال (دافيد أوكونور) لم يكونوا من ذلك النوع ، الذى يخضع إلى التهديد ؛ لذا فعلى الرغم من فُوَّهة مسدّس (منى) ، المصوَّبة إلى رءوسهم ، انتزع كل منهم مسدّسه ، وصوَّبه إليها ، ولكن أربع رصاصات سريعة مُحكمة أنهت الموقف فى غمضة عين ، ووجد الرجال الأربعة أنفسهم بلا سلاح ، فاتسعت عيونهم فى ذُهول ، ورفعوا أيديهم فوق رءوسهم فى استسلام ، على حين بدا وجه (دافيد أوكونور) كصورة مجسّمة للذهول ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى أطلق الرصاصات الأربع ، ووقف يبتسم فى سخرية وهو يقول لـ (منى) :

— معذرة يا زميلتى العزيزة ، لقد خشيت أن تأخذك الحماسة كالمعتاد ، فتطلقين النار على رأس أحدهم .

هزّت (منى) كتفيها فى لامبالاة ، والتقطت حقيبتها ؛ لتعيد إليها مسدّسها ، وهى تقول فى هدوء :

— لقد كانوا يستحقّون ذلك على أيّة حال .

وعادت تجلس على مقعدها فى هدوء ، وتتطلّع فى برود إلى (أوكونور) ، الذى غمغم ، ولم يفارقه ذهوله بعد :

— يا للشيطان !!

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، بدت عجيبة وسط الكازينو ، الذى ساده الصمت التامّ ، والجميع يحدّقون فيما حدث ذاهلين ، وبعضهم يخفى فى صعوبة ابتسامته الشامتة ، لما أصاب (أوكونور) الطاغية ورجاله ، على يد رجل وفتاة مجهولين ، ثم تناول (أدهم) زجاجة من الماء المعدنى ، وصبَّ بعضه فى كأس فارغة ، ورفعها عاليًا ، وهو يقول فى سخرية :

— نخب كسر أنف الجنرال (أوكونور) ورجاله .

ثم جرع الكأس دفعة واحدة ، على حين ابتسمت (منى) فى سخرية ، وتقافزت كل شياطين الغضب فى وجه (أوكونور) ، وهو يهتف فى سخط :

— إنك تستحق القتل ، من أجل هذا .

رفع (أدهم) فُوَّهة مسدّسه نحو رأس (أوكونور) ، وجذب إبرته ، وهو يقول فى سخرية ، لا تخلو من الصرامة :

— حقًا ؟!..

احتقن وجه (أوكونور) ، وتوتّر رجاله فى عصبيَّة ، وهو يهتف فى حدّة :

— لا أحد يصوّب سلاحه إلى الجنرال (أوكونور) هكذا يا فتى .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ يا لها من مصادفة !.. إننى أحمل اسم (لا أحد) .

وعاد يطلق ضحكة ساخرة ، ثم ألقى مسدسه بعيدا ، وقال وهو يمدّ يده إلى (منى) ، ويعاونها على النهوض فى رشاقة :

ـ إننى أكره أن يرغمنى أحدٌ على إتيان ما أرفض أيها الجنرال الهزلىّ ، ولكن ما دمتَ تصرّ على دعوتنا ، فسأمنحك الفرصة لتحقيق رغبتك .. لقد تناولنا طعام العشاء ، وزجاجتين من الـ(كولا) الخالية من السكر ، ويمكنك إضافة ذلك إلى حسابك .

ودون أن تتلاشى ابتسامته الساخرة ، أبعد ذراعه ؛ لتتأبطها (منى) ، واستطرد فى تهكّم :

ـ طابَ مساؤك يا جنرال القرود .

واتجه مع (منى) نحو بوّابة الخروج ، دون أن يعترضه رجلٌ واحد ، على حين قفز أحد رجال (أوكونور) نحو مسدسه ، فهتف به هذا الأخير فى عصبيّة :

ـ كلّا .. ليس الآن ..

وضغط أسنانه فى غضب ، وهو يستطرد فى سخط :

ـ لن أقتل ذلك الوغد ، قبل أن يجثو على ركبتيه أمامى ، طالبًا الرحمة .

وهدر صوته فى ثورة ، وهو يستطرد :

ـ أريد هذا الرجل حيًّا .

وانطلق صقور الطاغية خلف (أدهم) و (منى) ..

* * *



٤ — خطوة بخطوة ..

« إنك تلعب بالنار يا (أدهم صبرى) .. » ..

بذلت (منى) قُصارى جهدها ؛ لتنطق تلك العبارة بأكبر قدر ممكن من الهدوء ، إلا أنها جاءت — على الرغم منها — مُفعمة بالتوتر والانفعال ، فاكتفى (أدهم) بابتسامة ، وهو ينهمك فى عمل ما ، أمام المرآة ، فاستطردت هى فى حدّة :

— لقد كان من المفروض أن نتسلل إلى وكر صقور (أوكونور) ، لا أن نهاجمه على هذا النحو العلنى الاستفزازى .

سألها ، وهو يبتسم فى هدوء :

— هل كنت تفضلين تناول (الشمبانيا) ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حنق :

— لا تسخر منى يا (أدهم) .

رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول فى خبث :

— كيف ؟!.. ألا تريدين منى أن أتحدث إليك مطلقًا ؟!

هتفت فى سخط :

— ألا يمكنك التحدث إلىّ بلا سخرية ؟

ضحك قائلًا :

— سيكون ذلك عسيرًا .

أشاحت بوجهها فى غضب ، وهى تقول :

— لن أتحدث إليك إذن .

ابتسم وهو يلتفت إليها ، وقال فى هدوء :

— لو أن المعلومات التى لدينا ، عن (دافيد أوكونور) صحيحة يا عزيزتى ، فسيعنى هذا أن (أوكونور) لن يسعى إلى قتلنا ، وإنما سيأمر رجاله ببذل قُصارى جهدهم ؛ لإلقاء القبض علينا أحياء .

سألته فى دهشة :

— وكيف يمكنك أن تثق فى ذلك ؟

أجابها فى جدّية :

— إن (أوكونور) رجل عسكرىّ قديم ، وطاغية حالىّ ، والعسكريُّون يفقدون عادةً هَيبة الموت ، ولا يرون فيه عقابًا كافيًا لخصومهم ، أمّا الطغاة ، فهم يكرهون التخلّص ممن أذلّوا ناصيتهم بالقتل ، وإنما يروق لهم إذلالهم أوّلًا ، ورؤيتهم وهم يعترفون لهم بالقوّة ، ويتوسّلون إليهم للعفو .

سألته في اهتمام :

ـــ هل يمكنك اختصار هذه المحاضرة ، إلى جملة واحدة ؟

عاد يبتسم ، وهو يقول في هدوء :

ـــ إنها تعني ببساطة أن (أوكونور) لن يسعى إلى قتلنا يا عزيزي ، ولكن إلى إلقاء القبض علينا أحياء ؛ ليُذلّ ناصيتنا بدوره ، قبل أن يقتلنا شرّ قتلة .

هتفت في استنكار :

ـــ وهل يُروق لك ذلك ؟

أطلق ضحكة هادئة ، وهو يجيب :

ـــ بالطبع ، فهذا يجعلنا أكثر حُرّيّة ، لأن أحدًا لم يأمرنا بالإبقاء على حياة صقوره .

ثم عاد إلى سخريته ، مستطردًا :

ـــ وهذا يمنحنا نقطة تفوّق ، في صراعنا مع صقور (أوكونور) ..

* * *

نفث الجنرال (أوكونور) غضبه ، مع أنفاس سيجاره الفاخر ، وهو يقول لضابطه الأوّل (دوايت) في حنق :

ـــ ذلك الحقير تعمّد إهانتي أمام الجميع ، ولن يهدأ لي بال قبل أن أراه أمامي ذليلاً مهينًا .

أجابه (دوايت) في حزم :

ـــ إننا نتعقّب خطواته خطوة خطوة ، منذ غادر الكازينو يا جنرال ، ونعلم الآن أنه يقيم مع رفيقته في جناح فخم ، في الدور الرابع من فندق (كونتننتال) ، وهناك عشرة من رجالنا يحيطون بالمكان ، وينتظرون أوامرك .

استدار إليه (أوكونور) ، وعقد كفّيه خلف ظهره ، وهو يقول في لهجة حازمة آمرة ، غاضبة :

ـــ مُرْهم بأن يقتحموا جناحه ، وينتزعوه هو وزميلته منه ، ويحضروهما إلى هنا ، مكبّلين بالأغلال ، وعلى أسوأ وسيلة ممكنة .. أريد أن يشعر بأكبر قدر ممكن من المهانة ، قبل أن يجثو أمامي هنا .

ارتسمت على شفتي (دوايت) ابتسامة شامتة ، وهو يقول :

ـــ كما تأمر يا جنرال .

ثم دار على عقبيه على نحو عسكري ، وغادر حجرة الجنرال ، والقلعة كلّها ، في طريقه لتنفيذ الأمر ..

* * *

استقلّ رجال (أوكونور) العشرة ، بقيادة (دوايت) ،

بمصْعَد فندق (كونتننتال) ، إلى الطابق الرابع ، وهناك أبرز كل منهم مدفعًا رشاشًا قصيرًا ، وانتشروا فى البهو الذى يطلّ عليه جناح (أدهم) و (منى) ، وأشار (دوايت) إلى خمسة منهم ، فأسرعوا نحو باب الجناح ، وطرق هو الباب فى هدوء ، وانتظر حتى سمع صوت (منى) يقول فى هدوء :

ـ من بالباب ؟

أجابها فى برود :

ـ خِدْمَة الفندق .

خُيِّل إليه أن صوتها يحمل رنّة ساخرة ، وهى تقول :

ـ وماذا تريد خِدْمَة الفندق ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ هناك خطاب عاجل ، للسيِّد (أندريه لاتور) .

أجابته فى هدوء :

ـ ادفعه من أسفل الباب ، وانصرف .

ضغط أسنانه فى حَنَق ، وهو يقول فى حِدّة :

ـ لابدّ من تسليمه يدًا بيد .

جاوبه الصمت لحظة ، قبل أن يأتيه صوتها ، وهى تقول :

ـ حسنًا .. انتظر لحظة .

وصل إلى الطابق ـ فى تلك اللحظة ـ أحد خدم الفندق . فأدار الرجال فُوّهات مدافعهم الرشاشة نحوه فى حِدّة ، جعلته يتراجع فى فزع ، وهو يغمغم :

ـ ماذا ؟!.. ماذا هناك ؟

أجابه أحد الرجال فى خشونة :

ـ لا شىء يا رجل .. إنك لم تر شيئًا .

تراجع الخادم فى ذُعر ، وهو يردِّد فى ارتياع :

ـ نعم .. نعم يا سيِّدى .. إننى لم أرَ شيئًا .

دفعه أحدهم إلى ركن البهو ، وألصق فُوّهة مدفعه الآلىّ القصير بجبهته ، على حين التفتت عيناه بحركة آلية نحو باب الجناح ، الذى تحرّك فى هدوء ، فتحفّز كل رجال (أوكونور) لاقتحامه ..

وفجأة ، وبدلًا من أن تظهر (منى) على باب الجناح ، اندفعت من داخله كرة معدنية ، وسقطت بين أقدام الرجال ، فهتف بهم (دوايت) :

ـ ابتعدوا .. إنها قنبلة دُخان ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انفجرت القنبلة بدوىّ مكتوم ، وتصاعدت منها سحب الدُّخان الكثيفة ، وصرخ (دوايت) فى غضب :



دفعه أحدهم إلى ركن البهو ، وألصق فوّهة مدفعه الآلىّ القصير بجبهته ، على حين التفت عيناه بحركة آلية نحو باب الجناح ..

— اقتحموا الجناح ، وأطلقوا النار .

اندفع الرجال ، وعيونهم تلتهب بالأدخنة ، نحو جناح (أدهم) و (منى) ، وأطلقوا رصاصاتهم فى كل ركن فيه ..

وفجأة ، توقّف خادم الفندق عن الارتعاد ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وتحرّكت قبضته لتلكم أقرب الرجال إليه لكمة ساحقة ، ثم اختطف مدفعه الآلىّ القصير ، وركل رجلاً آخر فى معدته ، فى نفس الوقت الذى التقطت فيه أجهزة إنذار الحريق رائحة الدُّخان الكثيف ، فتفجّرت رشاشات المياه تغمر المكان ، ودوّى صوت صفّارات الإنذار داخل الفندق ، وساد الهَرْج والمَرْج فى أروقته .

وشقّ صوت (أدهم) الصارم كل هذا ، وهو يقول :

— انتهى القتال أيها السادة .. ألقوا أسلحتكم ، وارفعوا أيديكم فوق رءوسكم .

كانت الأبخرة تلهب عيون الصقور ، وأنوفهم ، حتى لم يَعُد أحدهم يدرى أين يصوّب سلاحه ، وأين يطلق الرصاص ، ولم يكن أمامهم سوى الاستسلام ، فألقوا أسلحتهم فى حنق ، ورفعوا أيديهم إلى أعلى ، وبرزت (منى) من جناح جانبى ، وهى تطلق ضحكة ساخرة ، أثارت غيظ الصقور وسخطهم ، قبل أن تقول :

— يا لخيبة ذلك الجنرال الهزلىّ ، الذى يعتمد على رجال مثلكم لحمايته ، ومنحه الهيبة اللازمة !!.. لقد كان خداعكم وهزيمتكم من أبسط الأمور .. فقط استئجار جناح إضافى ، بباب جانبى مزدوج ، وارتداء زىّ خدم الفندق .. يا لكم من قرود أغبياء !

وعادت تطلق ضحكتها الساخرة ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها رجال أمن الفندق ، وهم يحملون أجهزة إطفاء الحريق ، فاتسعت عيونهم ذهولاً ، أمام ذلك المشهد ، وهتف أحدهم :

— ماذا يحدث هنا ؟

أجابه (أدهم) فى تهكّم :

— لا شىء يا صديقى .. لا تُقلق نفسك ، مجرّد حشرات عبثت فى أجهزة إنذار الحريق ، وسنسحقها بعد لحظات .

مسح (دوايت) دموعه ، وهو يقول فى حِدّة :

— لن يغفر لك الجنرال (أوكونور) هذا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— أتقصد أنه سينتقم منّى ، كما فعل هذه المرّة ؟

شقّ المكان فجأة صوت صارم ، يقول فى غضب :

— من هذا الذى سينتقم ؟.. ومن أنت بالتحديد ؟.. ومن هم هؤلاء الرجال ؟

كانت الأبخرة قد انقشعت تمامًا تقريبًا ، فالتفت (أدهم) إلى مصدر الصوت ، ورأى زنجيًا أشيب الفَوْدَيْن ، متين البنيان ، يرتدى حُلّة عادية ، ويبدو غاضبًا مُحْنقًا ، فقال (أدهم) فى برود :

— يمكنك أن تحصل على كل الأجوبة ، لو أجبتنى أوّلاً عن سؤال واحد .. من أنت ؟

انتزع الزنجى من جيبه بطاقة جلديّة ، فتحها أمام عينى (أدهم) ، وهو يقول فى حِدّة :

— الملازم (جون براون) ، من شرطة (نيويورك) .. هل من أسئلة أخرى ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— كلّا .. هذا يكفى .

ثم ناول المدفع الآلىّ للملازم (براون) فى بساطة ، مستطردًا :

— والآن ، ألقِ القبض على هؤلاء الأوغاد ، مادامت هذه هى مهنتك

التقط الملازم (براون) المدفع الآلىّ فى حذة ، وهو يهتف :

— والآن ، ماذا يحدث هنا بحق الشيطان ؟

أجابه (دوايت) فى حنق :

— نحن رجال الجنرال (أوكونور) .

ارتفع حاجبا الملازم (براون) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقدهما ، وهو يعض شفتيه فى غيظ ، مغمغمًا :

— وماذا تفعلون هنا ؟

أجابه (دوايت) فى حنق :

— ليس هذا من شأنك .

زفر الملازم (براون) فى غضب ، ولوّح بذراعه فى حدّة ، وهو يهتف فى سخط :

— حسنًا .. اذهبوا .. اغربوا عن وجهى .

هتفت به (منى) فى استنكار :

— هل ستطلق سراحهم ؟!.. لقد كادوا يقتلوننا !!

أجابها فى حدّة :

— أعلم ذلك ، ولكنها الأوامر .. الأوامر اللّعينة .

صاحت فى غضب :

— أيّة أوامر تلك التى ......؟

قاطعها (أدهم) فى صرامة :

— كفى يا عزيزتى ، من الواضح أن الجنرال (أوكونور) ورجاله يملكون حصانة خاصّة هنا .

ثم استطرد فى سخرية :

— فى هذا البلد الحرّ .

أشاح (براون) بوجهه فى حنق ، على حين التفت (دوايت) إلى (أدهم) ، وقال فى صرامة :

— لا تفرح كثيرًا بانتصارك فى هذه الجولة يا رجل .. إن أحدًا لم يهزم صقور (أوكونور) من قبل .. إن الجنرال سيمزّقك إربًا فى النهاية .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وقال :

— حسنًا .. إننى أنتظر هذه النهاية فى شغف .

أجابه (دوايت) فى حنق :

— لن تنتظر طويلاً .

ثم استدار لينصرف ، ولكن (أدهم) استوقفه ، قائلاً فى هدوء :

— لحظة أيها الوغد .. لدىّ رسالة إلى جنرالك الهزيل .

استدار إليه (دوايت) قائلاً فى غضب :

— أيّة رسالة ؟..

انطلقت قبضة (أدهم) فى وجهه كالقنبلة ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ هذه .

كانت اللكمة من العنف والقوة ، حتى أنها هشمت اثنتين من أسنان (دوايت) ، وألقت به إلى مسافة ثلاثة أمتار ، قبل أن يسقط على ظهره ..

وتفجر الغضب فى قلوب الصقور ، واستداروا جميعًا يواجهون (أدهم) ..

وتفجرت المعركة ..

معركة بين عشرة صقور ..

ونسر ..

* * *



٥ ـــ الخُدْعة ..

من المستحيل ، طبقًا لأية حسابات منطقية ، أن يهزم رجلٌ واحدٌ عشرة رجال ، سيطر عليهم الغضب والحنق إلى حدّ الجنون ، ويجيدون القتال على نحو فائق الجودة ..

ولكن .. دعنا نناقش الأمر ، من الناحية المنطقية أيضًا ..

إن عامل المفاجأة وحده ، يمكنه أن يجعل رجلًا قويًا يتغلّب على رجلين ، أو ثلاثة من الأشداء ..

وسرعة الحركة قد ترفع هذا العدد إلى خمسة ..

وكوْن هذا الرجل هو (أدهم صبرى) ، المعروف بلقب (رجل المستحيل) ، فهذا يرفع العدد إلى سبعة على الأقل ..

وهذا ما حدث بالفعل ..

لم يكد الصقور العشرة يستديرون ؛ لمواجهة (أدهم) ، حتى كانت قبضته اليسرى قد هشمت فك أولهم ، واليمنى تغوص فى معدة ثانيهم ، وقدمه تركل أنف ثالثهم ، وقدمه الأخرى تحطّم أسنان رابعهم ..

وفى الوقت ذاته ، لكمت (منى) الخامس فى مُؤخرة عنقه ، وغاص كعب حذائها الحاد فى لحم ساق السادس ، وهى تلكمه فى أنفه ..

واندفعت قبضة (أدهم) لتلكم السابع فى عنقه ، ودار على عقبَيْه ، ليركل الثامن فى معدته ، ثم يدفع نفس القدم إلى أعلى ، ليركله فى أنفه مباشرة ..

ولكن التاسع والعاشر تمكّنا من التقاط مدفعيهما ، وصوّباه إلى (أدهم) ، وأحدهما يصرخ فى ثورة :

ـــ أنت أردت ذلك أيها الرجل .. خذ .. خذ رصاصات الصقور ..

ودوّت رصاصات مدفعه الآلىّ فى دهليز الفندق الفاخر ..

* * *

لم تصب الرصاصات (أدهم) ؛ لأنه تحرّك مبتعدًا عنها بسرعة البرق ..

ولكنها أصابت (منى) ..

أصابتها فى كتفها اليسْرى ، وذراعها اليسْرى ، فتأوّهت فى ألم ، وفجّرت تأوّهاتها غضب (أدهم) ، فهوى على فك الرجل بلكمة كالصاعقة ، وهو يهتف :

ـــ أيها الوغد .

ثم ركل مدفع الرجل الآخر ، قبل أن يحطّم أسنانه بلكمة أخرى ، ثم يندفع نحو (منى) ، هاتفًا فى جَزَع :

ـــ ماذا أصابك ؟

أجابته فى ألم :

ـــ لقد أصابتنى ثلاث رصاصات .. أو أربع .. لست أدرى .

استفاق الملازم (براون) من ذهوله ، فى تلك اللحظة ، فهتف فى جزع :

ـــ استدعوا سيّارة إسعاف .. بسرعة .. بل سيارتين ، أو ثلاثا ، فهناك العديد من المصابين ، فى مستشفى المجاذيب هذا .

ثم أسرع نحو (أدهم) و (منى) ، وهو يستطرد فى انفعال :

ـــ كيف فعلت ذلك ؟.. كيف فعلته بحقّ الشيطان ؟!

التفت إليه (أدهم) ، وقال فى غضب :

ـــ بل كيف فعلت أنت ذلك ؟!.. كيف أمكنك أن تأمر بإطلاق سراح عشرة أوغاد ، تعلم جيّدًا أنهم خالفوا كل الأعراف والقوانين ؟!



زفر (براون) فى حنق ، وجلس أرضًا إلى جوار (منى) وأشعل سيجارته فى عصبيَّة

زفر (براون) فى حنق ، وجلس أرضًا إلى جوار (منى) ، وأشعل سيجارته فى عصبيَّة ، ولوَّح بكفِّه ، وهو يقول ساخطًا :

ــ لو أن الأمر بيدى ، لأطلقت النار على رءُوسهم دون تفكير ، ولكنها الأوامر .

وثنى ركبتيه ، واستند بذراعيه إليها ، وهو يستطرد فى حنق :

ــ لست أدرى من هو الجنرال (أوكونور) هذا ، ولا من هم أوغاده ، ولكننا تلقينا أوامر مشدَّدة بمنع التعرُّض لهم ، أو اعتقالهم ، مهما كانت الأسباب ، ولست أكره فى حياتى كلها أكثر من رؤية وغد يمرح ، بلا رقيب أو حساب .

غمغمت (منى) فى ألم :

ــ ينبغى أن تفعل شيئًا ؛ ما دمت ترفض ذلك .

أجابها ، وهو ينفث دُخان سيجارته فى عُمْق :

ــ لقد فعلت .

ثم أشار إلى (أدهم) ، مستطردًا :

ــ إننى لم أحاول أن أسأله من هو ؟ ولا ماذا يفعل هنا ؟ أو لماذا يرتدى زِىّ خدم الفندق ؟.. لقد وجدت أنه من العدل ألا أفعل ، ما دمت أعْجزُ عن استجواب خصومه .

ارتفع فى تلك اللحظة صوت أبواق سيّارة الإسعاف ، وهى تقترب ، وتتوقّف أمام الفندق ، فقال (أدهم) فى حزم :

ــ سنعمل على إسعاف زميلتى أوّلًا أيها الملازم (براون)، وبعدها سيكون بيننا حديث طويل .

أومأ (براون) برأسه فى صمت ، على حين وصل رجلا الإسعاف ، فى زيّهما الأبيض المميّز ، وهما يحملان مِحَفّة ، وأسرعا نحو (منى) ، وبدأ أحدهما يضمّد جرحها فى سرعة ، على حين وقف الآخر يتأمّل أجساد الرجال العشرة ، المبعثرة فى الرّدهة ، وقال فى برود :

ــ ماذا حدث هنا ؟.. أهى قنبلة ؟

ابتسم الملازم (براون) ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) مغمغمًا :

ــ نعم .. قنبلة بشريّة .

تجاهل (أدهم) ملاحظته ، وهو يعاون رجل الإسعاف على نقل (منى) إلى المِحَفّة ، فأسرع الرجل الآخر إلى زميله وهو يقول :

ــ دع لى هذه المهمّة يا مستر (أندريه) .

وحمل مع زميله المحفّة ، وتبعهما (أدهم) إلى المصعد ، ولكن أحدهما قال فى حزم :

ــ لن يتسع المصعد لثلاثتنا ، فنحن نحمل المحفّة ،
تطلّع (أدهم) إلى (منى) فى حنان ، وهو يغمغم :

ــ لا بأس .. سألحق بك على الفور يا عزيزتى .

غمغمت ، وهى تقاوم آلام جرحها :

ــ سأنتظر .

هبط المصعد فى هدوء ، وغمغم (براون) :

ــ يبدو أن كليكما يكنّ للآخر حبًا غامرًا .

التفت إليه (أدهم) ، فاستطرد مبتسمًا :

ــ لست أدرى ما الذى تحدثتما فيه ، فقد كنتما تتكلمان لغة أجهلها .. العربية حسبما أظن .. ولكن نبرات عباراتكما كانت ناعمة هامسة ، كما يفعل المُحِبُّون يا مستر .....

صمت لحظة ، ثم استطرد :

ــ (أندريه) .. أليس كذلك ؟.. لقد سمعت رجل الإسعاف يخاطبك بهذا الاسم ، و .....

قاطعه (أدهم) ، وهو يهتف بغتة :

ــ يا إلهى !!.. كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟!

ثم اندفع فجأة كالصاروخ ، يقفز درجات سُلّم الفندق هابطًا ، على حين اتسعت عينا (براون) فى دهشة ، وهو يهبُّ من مكانه ، هاتفًا :

— ماذا حدث بحق الشيطان ؟!.. ولكن مهلًا .. كيف خاطبه رجل الإسعاف باسمه ، على حين لم أكن أنا نفسى أعرفه ؟.. يا للشيطان !!.. لقد كانت خدعة .. لقد اختطفوا زميلته .

* * *

دفع رجلا الإسعاف الزائفان المحفّة ، التى تحمل جسد (منى) ، داخل سيّارة الإسعاف ، ثم أسرعا يقفزان فى كابينتها ، وأحدهما يهتف فى سخرية :

— الجنرال عبقرىّ حقًا .. لقد توقّع حدوث اشتباك ، واستدعاء سيّارة إسعاف ، وطلب منا أن نبقى فى الجوار .. ولقد أثمرت خطته ، ونجحنا فى اختطاف زميلة ذلك المُتحذلق .

عقد زميله حاجبيه ، وهو يدير محرّك السيّارة ، مغمغمًا :

— المهم أن يؤتى ذلك ثماره .. فلقد كنت أفضّل اختطاف الرجل ، لا الفتاة .

أجابه الأوّل فى حدّة :

— وجود زميلته بين أيدينا سيجعله يُهرع إلينا ، بدلًا من أن نسعى نحن خلفه ، وعندئذ سيَسْهُل علينا الإيقاع به ، و ......

قاطعه زميله ، وهو يتطلّع إلى مرآة السيّارة الجانبيّة ، قائلًا فى حزم :

— استعدّ إذن ، فلقد كشف الأمر ، وها هو ذا يَعْدو نحونا .

ثم انطلق بالسيّارة فى سرعة ..

كان (أدهم) قد اندفع عبْر بوّابة الفندق فى تلك اللحظة ، ورأى سيّارة الإسعاف تنطلق مسرعة ، فانطلق يَعْدو خلفها بأقصى ما يملك من سرعة ، وكأنما تحوّل إلى آلة خاصّة للعَدْو ..

للعَدْو فقط ..

وزأر محرّك سيّارة الإسعاف ، وصرخ ، وهو يحاول عبثًا الاستجابة إلى أوامر سائق السيّارة ، الذى ضغط دوّاسة الوقود بكل ما يملك من قوّة ، وكأنما يتوقّع أن تقفز سرعة سيّارته ، من الصفر ، إلى الذُروة فى لحظة واحدة ..

وراحت السيّارة تبتعد عن (أدهم) .. وتبتعد .. وتبتعد ..

وشعر (أدهم) باستحالة الفوز فى هذا السباق الجنونى ، بينه وبين سيّارة قويّة ، فانحرف جانبًا ، واندفع نحو أوّل سيّارة متوقّفة ، على جانب الطريق ، وحطّم زجاجها بضربة قويّة من قبضته ، وفتح بابها ، ثم قفز داخلها ، وتجاهل صراخ صاحبها ، وهو يعْدو نحوه ، هاتفًا :

ــ أنت !!.. ما الذى تفعله بسيارتى ؟

وفى سرعة ، وقبل أن يصل الرجل إليه ، كان (أدهم) قد انتزع سلكى التوصيل ، أسفل عجلة القيادة ، وأوصلهما على نحو دقيق ، فدار المحرّك ، وانطلق (أدهم) بالسيّارة ، تاركًا صاحبها يصرخ :

ــ لقد سرق سيّارتى .. لقد سرقها ..

وبدأت معركة جديدة ، ومطاردة جديدة ..

مطاردة بين سيّارة ، وسيّارة ..

* * *

انطلقت سيارة الإسعاف عَبْر شوارع (نيويورك) ، وهى تطلق بُوقها المميّز ، الذى دفع كل السيّارات الأخرى إلى إفساح الطريق لها ، وهم يتصوّرون أنها تحمل مريضًا يحتاج إلى إسعاف عاجل ..

وخلفها انطلقت سيّارة (أدهم) فى إصرار وقوّة وعناد ..

وكانت مطاردة حقيقيّة عنيفة ، وسط شوارع أكبر مدن القارة الأمريكية ، استمرّت حتى وصلت السيّارتان إلى طريق (الأوتوستراد) .. حيث أطلقت كل منهما العنان لسرعتها ..

واقتربت سيّارة (أدهم) من سيارة الإسعاف ، فهتف الذى يقود الأخيرة بزميله :

ــ أطلق النار على إطارات سيّارته .. هيّا .. أسرع .. قبل أن يلحق بنا .

هتف زميله فى توتّر :

ــ ولكن الجنرال طالبنا بإحضاره حيًّا !

هتف الأوّل فى حنق :

ــ أوقفه أوّلا ، وسننتزعه من بين حطام سيّارته فيما بعْد .

اكتفى زميله بهذا القول ، وانحنى خارج النافذة ، وراح يطلق رصاصات مسدّسه نحو سيّارة (أدهم) ، الذى راوغ الرصاصات فى مهارة ، ثم التصق بخلفيّة سيّارة الإسعاف ، وهو يردّد فى غضب :

ــ أيها الأوغاد .. لولا أنكم تحملون أعز مخلوق إلى قلبى ، لحوّلتكم إلى أشلاء .

ثم أخرج مسدسه ، وأطلق رصاصته على زجاج السيّارة الأمامىّ ، فهشّمه تمامًا ، وانتزع بقاياه فى سرعة ، وهو يواصل انطلاقه خلف سيّارة الإسعاف ، وغمغم فى صرامة :

ـــ ولكن هذا لا يمنع ضرورة إيقافكم .

وانحرف بسيّارته بغتة ، ثم اندفع بها محاذيًا سيّارة الإسعاف ، وقفز من خلف عجلة القيادة ، عَبْرَ الزجاج الأمامىّ للسيّارة ، واستقرّ بقدميه فوق مقدّمتها ، لجزء من الثانية ، ثم قفز قفزة هائلة ، مثيرة ، مُذهلة ..

ورأى قائد سيّارة الإسعاف (أدهم) يندفع نحوه ، كما لو كان طائرًا خرافيًّا ..

طائرًا يقفز بسرعة مائتى كيلومتر فى الساعة .. على الأقل ..

* * *

٦ ـــ العِمْلاق ..

لم يصدّق الصقر ، الذى يقود سيّارة الإسعاف عينيه ، وهو ينظر فى ذُهول ، لجزء من الثانية إلى (أدهم) ، الذى بدا له وكأنه يطير نحوه ، كالـ(سوبرمان) ، قبل أن يتعلّق بباب السيّارة ، المجاور للسائق ، ويدفع قبضته عبر نافذته ، ليهوى على فكّ الصقر بلكمة ساحقة ، صاعقة ، كالقنبلة ..

واجتمعت اللّكمة مع الذّهول ، ليفقد الصقر وعيه على الفور ، ويفقد سيطرته على عجلة القيادة ، فمالت سيّارة الإسعاف فى حدّة ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (أدهم) داخلها ، ودفع سائقها بقدمه ؛ ليحتلّ مكانه ، على حين استدار إليه الصقر الآخر ، وهو يصرخ فى شراسة :

ـــ جميل منك أن أتيت بنفسك ، فلن تخطئك رصاصتى على هذه المسافة ، ولن .....

ولم تكتمل عبارته ، فقد ثنى (أدهم) ركبته ، وضمّها إلى صدره ، ثم دفع قدمه كالصاروخ فى معدة الرجل ، وانحنى

بالسيَّارة إلى اليمين فى عُنف ، فاختلَّ توازن الصقر الثانى ، وسقط من السيَّارة ، وهو يطلق صرخة قصيرة ، قبل أن يرتطم بالطريق ، بسرعة مائتى كيلومتر فى الساعة ..

وأوقف (أدهم) سيارة الإسعاف إلى جانب الطريق ، وقفز منها ، وأسرع نحو بابها الخلفى ، وتنهَّد فى ارتياح ، حينما وجد (منى) ترقد داخلها ، وقد استغرقت فى نوم عميق ، أو غيبوبة طويلة ، وغمغم وهو يتحسَّس شعرها فى حنان :

— إنك على قيد الحياة على الأقلّ يا عزيزتى .

تحسَّس وجهها بأنامله فى عطف ، ثم أسرع إلى كابينة سيارة الإسعاف ، وأدار المحرِّك ، وانطلق نحو أقرب مستشفى ..

* * *

استشاط الجنرال (أوكونور) غضبًا ، حينما قصَّ عليه ضابطه الأوَّل (دوايت) أنباء هزيمتهم ، على يد (أدهم) و (منى) ، وضرب حائط حجرته بقبضته ، وهو يصرخ فى حنَق :

— أيها الأغبياء !!.. أيها الحمقى !! كيف يهزم رجل وفتاة عشرة صقور محترفين ؟!

أجابه (دوايت) فى ضيق :

— بعامل المفاجأة ، وبحظ الهُوَاة يا سيِّدى الجنرال .

صرخ (أوكونور) فى غضب :

— هُوَاة ؟!..

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى سخط :

— هُرَاء .. هذا الشيطان وزميلته ليسا أبدًا من الهُوَاة .. إنهما محترفان .. محترفان بحقّ .

أجابه (دوايت) فى توتُّر :

— كيف يا سيِّدى ؟!.. إنهما ليسا من المخابرات المركزية ، أو الشرطة الفيدرالية ، كما أن هذين لن يفشيا سرّنا لرجال الشرطة ، أو الجيش ، و .....

قاطعه (أوكونور) فى حِدَّة :

— إنهما محترفان، ولن تزحزحنى أيَّة قوَّة عن هذه العقيدة.

قلَّب (دوايت) كفَّيه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

— كما ترى يا جنرال .

دار (أوكونور) فى حجرته لحظات ، وهو يفكِّـــر فى عُمق ، ثم توقَّف قائلًا فى حزم :

— سأعود إلى (واشنطن) .. إلى القلعة .. وسأستخدم الكمبيوتر الخاصّ بنا هناك ، لمراجعة ملفَّات كل إداراتنا .



اندفع الملازم (براون) ، عَبْرَ أروقة مستشفى (نيويورك) ، حتى التقطت عيناه وجه (أدهم) ، الذى يقف قلقًا ..

ثم التفت إلى (دوايت) ، مستطردًا فى حدة :

ــ وسأعثر على كل ما أحتاج إليه من معلومات ، عن ذلك الحقير .

سأله (دوايت) فى اهتمام :

ــ هل نواصل لحظة القضاء عليه ؟

هتف (أوكونور) فى صرامة :

ــ بالطبع .

ثم أردف فى غضب :

ــ وما زلت أكرّر .. أريده حيًّا .. هل تفهمنى ؟.. حيًّا .

* * *

اندفع الملازم (براون) ، عَبْرَ أروقة مستشفى (نيويورك) ، حتى التقطت عيناه وجه (أدهم) ، الذى يقف قلقًا أمام حجرة العمليات بالمستشفى ، فأسرع إليه ، وهو يسألة فى اهتمام :

ــ كيف حالها ؟

تطلّع إليه (أدهم) لحظة ، ثم أشاح بوجهه ، مغمغمًا :

ــ إننى أنتظر المعلومات اللازمة ، لإجابة سؤالك .

استند (براون) إلى الحائط ، ودسّ كفّيه فى جيب سرواله ، ولاذ بالصمت لحظات ، ثم سأل (أدهم) فى هدوء :

— من أنت بالضبط ؟

رمقه (أدهم) بنظرة باردة ، وهو يجيب فى صوت أكثر برودًا :

— (أندريه لاتور) .

هزّ (براون) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

— كلّا يا صديقى .. لست أسألك : مَنْ تدّعى لنفسك ؟ إنما أسألك : من أنت ؟.. وهذا يعنى من أنت حقيقة ؟

غمغم (أدهم) فى برود :

— هل تهمّك معرفة ذلك حقًا ؟

عقد (براون) حاجبيه فى حَنَق ، وهو يرفع عينيه إلى (أدهم) ، قائلًا فى صراحة :

— اسمع يا (أندريه) ، أو أيًا كان اسمك .. صحيح أننى شرطىّ عادىّ ، ولست أهْوَى فى حياتى كلها سوى لَعِب (البلياردو) ، وقيادة الطائرات الخفيفة ، ولكن هذا لا يَعْنِى أننى رجل انهزامىّ خانع ، أو أننى اعتدت التسليم بكل ما يحدث حولى .. إننى فى الواقع أبغض (أوكونور) هذا ورجاله ، كما لم أبغض مخلوقًا من قبل ، وسيكون أسعد أيام حياتى هو يوم أراهم كُومَة من الجثث الهامدة ، وهذا يَعْنِى — باختصار ، وبكل وضوح — أننى أعمل فى صفّك ، وإلى جانبك .. هل يكفيك ذلك ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا فى هدوء ، وقال :

— إننى أصدّقك أيها الملازم ، فأنا أجيد معرفة الشرفاء عند رؤيتهم ، والتعامل معهم ، ولكننى لا أستطيع حقًا أن أخبرك من أنا .. كل ما أستطيع قوله هو : أننى ضد (أوكونور) وصقوره ، وأن كل ما أسعى إليه هو تحطيمهم .

سأله (براون) فى شغف :

— لصالح مَنْ ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

— هذا ما لا يمكننى أن أخبرك إيّاه .

تأمّله (براون) فى حَيْرة ، ثم غمغم :

— المخابرات المركزية غير مسموح لها بالعمل داخل البلاد .. أنت تعمل لحساب المباحث الفيدرالية إذن ؟

غمغم (أدهم) فى هدوء :

— لست أمريكيًا .

عقد (براون) حاجبيه فى اهتمام ، وهو يقول :

— نعم .. نعم .. لقد تذكّرت .. لقد تحدّثت إلىّ زميلتك بالعربية .. أنتما عربيّان إذن .. ولكن .. ما شأنكما بقضية ذلك الطاغية (أوكونور) ؟

لم يَنْبِسْ (أدهم) ببنْتِ شَفَة ، فقفز فضول (براون) ودهشته إلى ذِروتهما ، وهمّ بإلقاء سؤال آخر ، لولا أن غادر الطبيب حجرة العمليات في تلك اللحظة ، فأسرع إليه (أدهم) ، يسأله في لَهْفة :

— كيف حالها ؟

ابتسم الطبيب ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

— لقد انتزعنا كل الرصاصات من كتفها وذراعها . كانت أربع رصاصات .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله في قلق :

— لِمَ لا تبدو سعيدًا بنجاحك إذن ؟

تردّد الطبيب لحظة ، ثم غمغم في خفوت :

— حسنًا .. إنه .. إنه ذراعها ، و .....

بتر عبارته بغتة ، فهتف به (أدهم) في حِدّة :

— وماذا بالله عليك ؟

تردّد الطبيب مرّة أخرى ، قبل أن يغمغم :

— لقد أصابت الرصاصات أعصاب ذراعها اليسرى ، و .....

مرّة أخرى بتر عبارته ، فصاح به (أدهم) في حَنَق :

— وماذا ؟

تراجع الطبيب في فزع ، وتنحنح في تردُّد ، ثم أجاب في سرعة :

— لقد فقدت ذراعها فاعليتها ، وستصاب بشلل تام مابقي لها من العمر .

اتسعت عينا (أدهم) في ذُعر ، وهتف في لَوْعة :

— يا إلهي !!.. (منى) ؟!

ثم تحوّل كل ذُعره ولَوْعته ، وتوتُّره إلى غضب ..

غضب هادر اكتسح كيانه كله ، ونبضت به عروقه في عُنف ..

وتراجع (براون) والطبيب ، أمام ذلك البريق الغاضب الصارم ، الذي أطلّ من عيني (أدهم) ، الذي بدا لهما حينئذ أشبه بالعملاق ..

عملاق الغضب ..

* * *



٧ ــ معركة رجل واحد ..

مدّ (براون) يده بعلبة سجائره إلى (أدهم) ، ولكن هذا الأخير بدا شاردًا ، واجمًا ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ويجلس على حافة مكتب (براون) ، وقدماه تمسّان الأرض ، وبصره يسبح بعيدًا فى الفراغ ، فهزّ (براون) رأسه فى إشفاق ، وأعاد العلبة إلى جيبه ، بعد أن التقط منها سيجارة ، دسّها بين شفتيه ، وأشعلها ، وهو يسأل (أدهم) فى خفوت :

ــ أمازلت تشعر بالأسف من أجلها ؟

لم يجبه (أدهم) ..

بل إنه حتى لم يسمعه ..

لقد كان يفكّر فيما أصاب (منى) ..

كان يشعر بالحزن الشديد من أجلها ، وبالندم ؛ لأنه هو الذى طالبها بمشاركته هذه المهمّة ..

كم تمنّى ــ فى تلك اللحظة ــ لو أنه لم يلتق بها أبدًا ..

لم يعرفها ..

لم يحبها ..

كم تمنّى لو أنه اكتفى بمغامرته الأولى معها ، ثم انتهج كل منهما سبيلًا مختلفًا بعد ذلك ..

ولكنه القدر ..

قدره وقدرها ..

قدرهما الذى جمعهما فى أكثر من عملية ، كان النصر فى نهايتها دومًا لهما ..

قدرهما الذى ربط بين قلبيهما برباط حبّ لا ينفصم ، حتى مع خوفها الدائم من الزواج منه ..

كان يسترجع فى ذاكرته كل لحظة عاشتها معه ..

كل المخاطر ..

كل المآزق ..

كل الانتصارات ..

وخفق قلبه ، وهو يسترجع كل همسة عاطفية تبادلاها ..

لقد كانت تغضب دومًا كلّما داعبها بسخريته اللاذعة ، ولكنه أبدًا لم يقصد إغضابها ..

كانت سخريته تعبيرًا عن عاطفة جيّاشة ، يحملها فى قلبه لها ..

كان دوْمًا يحبّها ..

ولقد دمّرها بحبه ..

ولكن لن يستسلم لما أصابها ..

أبدًا لن يستسلم ..

لقد بدأ معركته مع (دافيد أوكونور) وصقوره ، من أجل الحصول على معلومات فائقة الأهمّيّة لمخابرات دولته ..

وكان سيبذل المستحيل من أجل ذلك ..

أمّا الآن ، فلقد انقلبت المعركة إلى قتال شخصىّ ..

إلى انتقام ..

انتقام ممّن أساءوا إلى أحبّ مخلوقات العالم إلى قلبه ..

وهذا يمضى بالمعركة إلى عُمْق جديد ..

إنها لم تعُد معركة المخابرات الأمريكية ..

لم تعُد معركة مخابرات دولته ..

لقد صارت معركته ..

معركته وَحْده ..

وفجأة التفت إلى (براون) ، وسأله فى صرامة :

ـــ هل ترغب حقًّا فى القضاء على (أوكونور) وصقوره ؟.

أجابه (براون) فى دهشة :

ـــ بالتأكيد ، ولكن أخبرنى أوّلًا ، ما معنى تلك المحادثة الهاتفية ، التى أجريتها فور خروجنا من المستشفى ، عَبْرَ المحيط ؟!

تجاهل (أدهم) سؤاله ، وهو يستدير إليه ، قائلًا فى حزم :

ـــ هل تعلم أين يقيم (أوكونور) فى (نيويورك) ؟

عقد (براون) حاجبيه ، وهو يجيب :

ـــ نعم .. إنه يقيم فى الطابق الأخير من ناطحة سحاب فاخرة ، ولكنه يحيط نفسه بسياج من الحرّاس الأشدّاء ، الذين يمنعون أى مخلوق من الوصول إليه ، دون موعد سابق .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـــ دعْك من هؤلاء الأغبياء ، وأخبرنى أين يقيم ذلك الحقير ؟

تناول (براون) ورقة ، وخطّ عليها بضع كلمات ، ثم ناولها إلى (أدهم) ، قائلًا :

ـــ هاك عنوانه .

ألقى (أدهم) نظرة سريعة على العنوان ، ثم دسّ الورقة فى جيبه ، وهو يقول :

— والآن ، هل يمكنك أن تعيرنى بضعة أسلحة صغيرة ؟

غمغم (براون) وهو يمط شفتيه :

— هذا غير قانونى .

ثم أردف فى لهجة حاسمة :

— ولكن فليذهب القانون إلى الجحيم ، ما دام يعجز عن حماية المواطنين الأبرياء من هذا الطاغية وأوغاده .. ماذا تريد بالضبط ؟

انحنى (أدهم) ، واستند براحتيه إلى سطح مكتب (براون) ، وهو يجيب فى هدوء :

— مدفعين آليين ، وثلاث قنابل يدوية ، وقنبلتى دخان ، ومسدسًا .

رفع (براون) حاجبيه فى دهشة ، وهو يهتف :

— ما هذا يا رجل ؟!!.. هل تنوى أن تفتتح ترسانة أسلحة خاصة ؟

اعتدل (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة ، جمدت الدماء فى عروق (براون) ، وجعلته يحمد الله على أن هذا العملاق يعمل فى صفه :

— بل أنوى أن أشق طريقى إلى حجرة الجنرال (أوكونور) اللعين .. الليلة .

* * *

زوى الجنرال (أوكونور) ما بين حاجبيه ، وهو يجلس داخل حجرته الخاصة ، فى قلعته التى تحتل قمة جبل عالٍ ، على مشارف (واشنطن) ، يتابع فى اهتمام الصور والمعلومات ، التى تتراص فى تتابع بطىء على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص به ، والذى يحوى ما يزيد على تسعة أعشار ما يحويه كمبيوتر المعلومات ، الخاص بالمخابرات المركزية الأمريكية ..

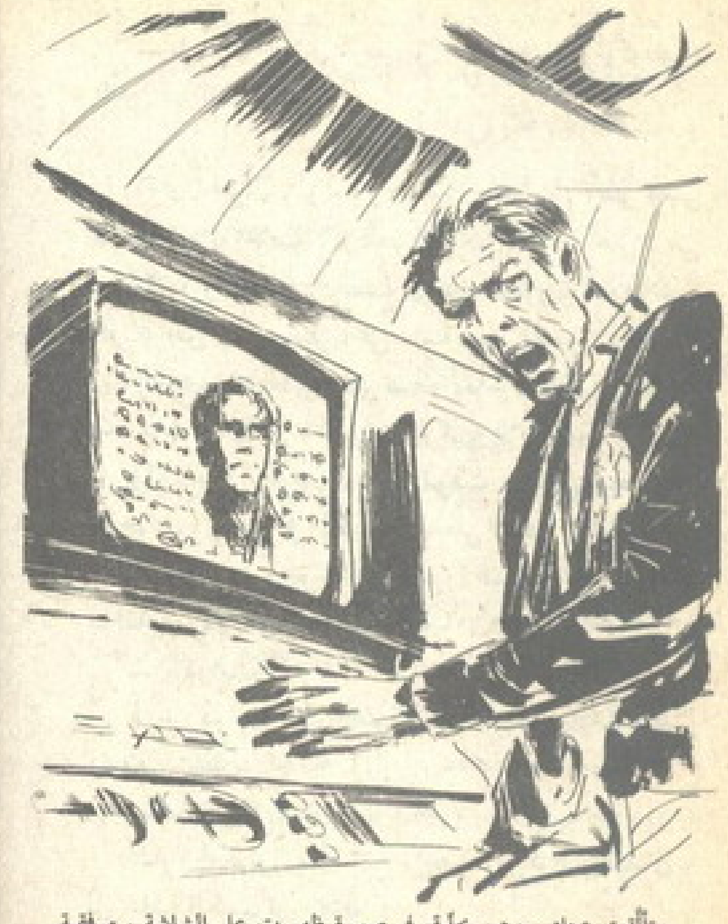
ولم يشعر (أوكونور) بمرور الوقت ، وهو يتفحص كل الوجوه ، ويراجع كل المعلومات ، حتى انتفض جسده بغتة ، وتألقت عيناه ، وهو يحدق فى صورة ظهرت على الشاشة ، مرفقة بعمودين من المعلومات ، فهبَّ من مقعده ، وهو يصرخ :

— (دوايت) .

هرع (دوايت) إلى حجرة قائده ، والضمادات تغطى وجهه ، وهتف :

— بمَ تأمر يا جنرال ؟ .

أشار (أوكونور) بأصابع مرتجفة ، من فرط الانفعال ، إلى شاشة الكمبيوتر ، هاتفًا :



وتألقت عيناه ، وهو يحدّق فى صورة ظهرت على الشاشة ، مرفقة بعمودين من المعلومات ، فهبّ من مقعده ، وهو يصرخ ..

ــ انظر .. هاهو ذا الشيطان !!.. لقد عثرت عليه .

انعقد حاجبا (دوايت) ، وهو يتطلّـــع إلى صورة (أدهم) ، ويقرأ الكلمات المدوّنة إلى جوارها ، والتى تقول :

ــ « (أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرىّ .. الرتبة : مقدّم .. الرمز الكودىّ : (ن ــ ١) .. قُدُرات فائقة للعادة .. لم يتمّ تصنيفه ؛ نظرًا لتجاوزه الحدّ الأقصى للقُدُرات المدوّنة .. لم يفشل فى عملية واحدة حتى الآن .. لايميل إلى القتل .. يجيد كل أنواع القتال بدرجة تفوق الممتاز .. يمكنه استخدام جميع أنواع الأسلحة ، فى براعة فائقة .. يتحدّث عددًا غير محدود من اللغات ، وبكل لهجاتها .. مطلوب حيًّا أو ميّتًا ، من قِبل العديد من الجهات ، مثل : (الموســاد) والـ(كى. جى. بى.) و (المافيا) و (سكوربيون) .. وغيرها .. نقاط الضعف: لاتوجد..» .

هتف (دوايت) فى دهشة :

ــ مصرىّ ؟!.. وما صلة المصريّين بنا ؟

هتف (أوكونور) فى انفعال :

ــ أيها الغبىّ .. إنه لايعمل لحساب المخابرات المصريّة

بالتأكيد ، فالمصريون لن يَعْنيهم أن نسيطر على العالَم ، أو حتى أن نشنَّ حربًا نوويَّة على القوَّتين العُظمَيَيْن ..

سأله (دوايت) :

ـ لحساب من يعمل إذن ؟

عقد (أوكونور) حاجبيه مفكِّرًا ، ثم غمغم فى اهتمام :

ـ ولماذا نفترض أنه يعمل لحساب جهة ما ؟

هتف (دوايت) مستنكرًا :

ـ إنه كذلك بالتأكيد يا (جنرال)، وإلَّا فلماذا هاجمنا؟

رمقه (أوكونور) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ تذكَّر أننا نحن الذين هاجمناه ، وأنه كان يردّ على هجومنا فحسب .

غمغم (دوايت) فى حَيْرة :

ـ هل تقصد أننا نقاتل رجل مخابرات محترفًا ، بالمصادفة البحتة ؟!

تمتم (أوكونور) فى خفوت ، وهو يفكِّر فى عُمْق :

ـ ربَّما .

ثم استعاد صوته صرامته ، وهو يستطرد :

ـ لقد عرفنا من هو ، وأيًّا ما كان الأمر ، فلقد أهانني ، وأهاننا جميعًا ، وما زلت أريده هنا ، فى القلعة ، ليجثوَ أمامي هنا .

انتصب (دوايت) فى حزم ، وهو يقول فى قوَّة :

ـ كما تأمر يا جنرال .. سيجثو رجل المخابرات المصرى على ركبتيه أمامك .. هنا .. فى (قلعة الصقور) ..

* * *

وقف حارس ناطحة السحاب ، التى يقيم فى أعلاها الجنرال (أوكونور) ، فى قلب (نيويورك) ، هادئًا ، يرمق (أدهم) ، الذى يقترب منه ، بنظرات باردة هادئة ، حتى وصل (أدهم) إلى بوَّابة ناطحة السحاب ، فاعترض الحارس طريقه ، وهو يقول فى هدوء ، وبلهجة مهذَّبة :

ـ لحظة يا سيِّدى .. إلى أين تذهب ؟

أجابه (أدهم) فى برود :

ـ وما شأنك أنت ؟

عقد الحارس حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حزم :

ـ بل هو من صميم شأنى هنا أيها السيِّد ، فأنا حارس البناية ، و .....

بتر الرجل عبارته فجأة ، واتسعت عيناه فى دهشة ، حينما أخرج (أدهم) يده من جيب معطفه ، وهى تحمل مسدسًا ضخمًا ، صوَّبه إلى الرجل ، قائلًا فى برود :

— وماذا ؟

توترت عضلات الحارس ، وهو يقول فى عصبيَّة :

— لو أنه سطوٌ مسلَّح ، فهو فكرة فاشلة أيها السيِّد ، فقد يمكنك إجبارى على فتح البوَّابة لك ، ولكن كل المنازل هنا مزوَّدة بآلات تصوير تليفزيونية خاصَّة ، تنقل إلى ساكنيها صُورَة من يدق أبوابهم ، ولن يفتح لك أحدهم بابه ، لو أن وجهك غير مألوف لديه .

دفعه (أدهم) أمامه فى خشونة ، وهو يقول فى صرامة :

— لا شأن لى بساكنيك أيها الرجل .. إننى أسعى لزيارة الجنرال (أوكونور) الوغد فحسب .

غمغم الحارس فى عصبيَّة :

— كان ينبغى أن تحضر معك كتيبة مدرَّعات كاملة إذن ؛ فهناك خمسة عشر رجلًا يقومون على حراسة الطابق الأخير ، الذى يقيم فيه الجنرال ، وهم يحملون دوْمًا مدافعهم الآلية ، ويُطلقون النار على المصْعَد بلا تفكير ، لو صعد إليهم دون أوامرهم .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— إنهم لن يفعلوا ذلك معى ، فسأرسل لهم باقة من الزهور أوَّلًا .

ازداد انعقاد حاجبى الحارس ، وهو يقول فى حِدَّة :

— حسنًا .. اصعد إليهم ، ما دمت لا تجد وسيلة أفضل للانتحار ، ولكننى لن أصعد معك ، فأنا أفضِّل الموت هنا برصاصات مسدسك ، على أن يعجز أقاربى عن تعرُّف جثتى ، أو حملها إلى قبرى ، من كثرة ما سيستقرّ فيها من رصاصات رجال الجنرال .

غمغم (أدهم) ساخرًا :

— ومن طلب منك أن تصحبنى ؟.. إنها زيارة خاصَّة .. ومن غير اللائق أن أصطحب معى ضيفًا ، فى زيارة خاصَّة .

هتف الحارس ، فى مزيج من الدهشة والسَّخَط :

— ماذا تريد منِّى إذن ؟

دفعه (أدهم) داخل حجرته الخاصَّة ، وهو يجيب فى هدوء ساخر :

— أريد منك أن تنعَمَ بنوم هادئ يا صديقى ، وَدَعِ الباقى لى .

وبسرعة ، وقبل أن يدرك الرجل ما يعنيه (أدهم) ، كان هذا الأخير يخرج من جيبه منديلًا ، تفوح منه رائحة مخدِّر قوىّ ، ويكمِّم به أنفاس الحارس ، الذى قاوم لحظات ، ثم استرخى جسده ، وراح فى غيبوبة عميقة ..

وفى هـدوء ، حمـل (أدهم) الحارس ، وأرقده فوق فراشه ، ثم اتجه نحو مِصْعَد ناطحة السحاب ، وخلع معطفه ، فظهر أسفله زيُّه الأسود ، والمدفعان الآليّان ، اللّذان يعلقهما فى كتفيه ، والقنابل المعلَّقة فى حزامه ، وحقيبة صغيرة ؛ انتزعها من حول وسطه فى هدوء ، ثم غمغم فى حزم وصرامة :

ـ استعد للّقاء يا جنرال الصقور الهزيلة .

وفى حسم ، ضغط زرَّ الطابق الأخير ..

* * *

كان رجال (أوكونور) الخمسة عشر ينتشرون فى الطابق الأخير ، أمام باب شقة زعيمهم الفاخرة ، وهـم يحملون مدافعهم الآلية فى ضجر ، حينما صدر أزيز يعلن اقتراب المِصْعَد من طابقهم ، فهبَّ الجميع فى تحفز ، وارتفعت فُوّهات مدافعهم الآلية نحو باب المِصْعَد ، وقال أحدهم فى صرامة :

ـ يبدو أننا ننتظر زائرًا غير مرغوب فيه يا رفاق .

أجابه آخر فى برود :

ـ لا يلومَنَّ إلا نفسه إذن ، فالأوامر فى هذا الشأن محدودة .

ابتسم ثالث ، وهو يجذب إبرة مدفعه ، مغمغمًا فى سخرية :

ـ هذا لو وجد ما يكفى من العمر ؛ ليلُوم نفسه

تحفَّز الجميع ، حتى أضاءت شاشة المِصْعَد العُلْويّة ، معلنةً ، وصول المِصْعَد إلى الطابق الأخير ، ثم انزلق مصراعا المِصْعَد إلى الجانبين فى هدوء ، ولمح الخمسة عشر رجلاً خيال الشخص الواقف داخل المِصْعَد ..

ودوَّت رصاصات خمسة عشر مدفعًا رشاشًا فى آن واحد ..

* * *



٨ ـ قتال فوق السَّحاب ..

لم يتوقَّف رجال (أوكونور) عن إطلاق رصاصاتهم ، لنصف دقيقة كاملة ، حتى تحوَّل المِصْعَد إلى مِصفاة ، من كثرة ما أصابه من الرصاصات ، وتطلَّع صقور (أوكونور) ، عَبْر أدخنة مدافعهم الآلية ، إلى داخل المِصْعَد ، واتَّسعت عيونهم فى دهشة ، حينما تبيَّنوا أنهم كانوا يطلقون النيران على معطف خالٍ ، معلَّق داخل المِصْعَد ، وهتف أحدهم فى حَنَق :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

صرخ آخر ، وهو يشير إلى أرضية المِصْعَد :

ـ وهذا ؟!

اتجهت أنظار الجميع إلى حيث يشير ، وتحوَّلت نظراتهم إلى الذُّهول ، وعدم الفهم ، وهم يحدِّقون فى باقة صغيرة من الزهور ، استقرَّت على أرضية المِصْعَد ..

ثم لمح أحدهم بريقًا معدنيًا ، وسط الزهور ، فتراجع ، وهو يصرخ فى ذُعْر :

ـ احترسوا .. إنها قنبلة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوّى الانفجار ، واندفع صقور (أوكونور) يرتطمون بحوائط الطابق ، ويسقطون أرضًا ، على حين ارتجَّ المِصْعَد ، وهَوَى إلى أسفل كالقنبلة ..

وفجأة ، ومن أعلى المِصْعَد ، قفز عَبْر الباب المفتوح شيطان مَرِيد ..

شيطان يُدْعَى (أدهم صبرى) ..

وقبل أن يُفيق الصقور الخمسة عشر من ذهولهم ، كانت رصاصات (أدهم) تجرِّدهم من أسلحتهم ، وقبل أن يدركوا ما يحدث ، كان أنف أوَّلهم قد تحوَّل إلى كَوْمة من اللَّحم والعظام المفتَّتة ، وكان فك الثانى قد شُجَّ إلى نصفين ، وشعر الثالث أن قنبلة أخرى قد انفجرت فى معدته ، على حين خُيِّل للرابع أن صاعقة قد هوت على مؤخرة عنقه ، فسقط فاقد الوَعْى ..

وهنا استعاد الصقور الباقون رشدهم ، وهتف أحدهم فى غضب :

ـ إنه دخيل .. اهجموا يا رجال ..

ومع صرخته طارت ثلاث من أسنان السادس ، وتحطَّمت ترقوة السابع ، ثم ألقى (أدهم) قنبلة الدُّخان وسطهم ..

وتفجرت سحب الدخان الحارق .. وسالت الدموع من العيون والأنوف ، وانطلقت قبضة (أدهم) ، الذى حرص على التزوُّد بقناع واقٍ ، لتطيح بثامنهم ، وتفجرت قبضته الثانية فى فك تاسعهم ، ثم قفزت قدمه إلى معدة عاشرهم ، واستقرت الأخرى بين ساق الحادى عشر ..

كان قتالًا سريعًا مدروسًا ، أضيف إلى عامل المفاجأة ، فأفقد الصقور اتزانهم ، وجعلهم يتهاوون أمام رجل لا مثيل له بين البشر ..

(رجل المستحيل) ..

واندفع الأربعة الباقون ؛ ليقاتلوا خصمهم فى شراسة ، ولكن (أدهم) انتزع من حزامه قنبلة يدوية ثانية ، وألقاها نحو باب شقة (أوكونور) الفاخرة ، فنسفه ، وبعث فى الطابق مزيدًا من التوتر ، وألقى وسط الصقور الأربعة مفاجأة جديدة ، جعلت ارتباكهم يتضاعف ، وجعلته ينقض عليهم ، فيحطم فك أحدهم بلكمة ساحقة ، ويهشم أنف الثانى بأخرى ماحقة ، ويكيل للثالث لكمتين متعاقبتين فى معدته وفكه ، ثم يقفز ؛ ليركل الأخير فى صدره ، ثم يجذبه إليه من سترته فى حدة ، وهو يسأله فى صرامة مخيفة :

ـــ أين قائدكم الوغد ؟

أجابه الصقر الأخير فى حدة :

ـــ ابحث عنه بنفسك .

دفعه (أدهم) داخل شقة (أوكونور) فى خشونة ، ورفع فوهة مدفعه الآلىّ الأوّل ، وراح يطلق رصاصاته على الأثاث الفاخر فى سخاء ، حتى حطمه تمامًا ، قبل أن يهتف بالرجل فى خشونة :

ـــ هل تحبّ أن تلحق بذلك الأثاث ؟!.. أجب أو أفرغ ما تبقّى من رصاصاتى فى رأسك .

غمغم الصقر فى حنق :

ـــ إنك لن تخيفنى بتهديدك .. الجنرال ليس هنا .. لقد رحل إلى (واشنطن) .. إلى القلعة ..

ثم استطرد فى مزيج من السخرية والتوتر :

ـــ اذهب إليه هناك لو أردت .. فيسعده أن تفعل .

أجابه (أدهم) فى برود :

ـــ سأفعل .

ثم هوى على مؤخرة عنق الرجل بلكمة قوية ، ألقته أرضًا فاقد الوعى ، وأطلّت من عينيه نظرة شديدة الصرامة ،

وهو يرفع قُوَّهتىْ مدفعيه ، نحو الأثاث الباق فى الشقة ، ثم يطلق النيران ..

* * *

مطَّ الملازم (براون) شفتيه فى أسف ، وهو يتطلّع إلى الخراب الذى تبقّى ، من شقة (أوكونور) الفاخرة ، وهزَّ رأسه ، وهو يغمغم :

ــ ماذا حدث بالضبط ؟.. هل انقضّت عليكم مقاتلة ، من طراز (فانتوم ــ ٢٠) ؟

أجابه أحد رجال (أوكونور) فى حنق :

ــ بل هو رجل أيها الملازم .. مخرّب حقير ، ونحن نحفظ أوصافه ، وسندلى بها إلى الشرطة .

غمغم (براون) فى سخرية :

ــ أنتم ؟!.. أتقصد من تبقّى منكم ؟!..

عقد صقر (أوكونور) حاجبيه فى غضب ، على حين استطرد (براون) بنفس لهجته الساخرة :

ــ اسمع يا رجل .. لقد أشرفت بنفسى على نقل عشرة منكم إلى سيّارات الإسعاف ، لعلاجهم من كسور مختلفة ، بالأنوف والفُكُوك ، ولن أصدّق أبدًا أن رجلًا واحدًا قد فعل بكم كل هذا ، لا ريب أنها كتيبة مسلَّحة .



ثم هوى على مؤخرة عنق الرجل بلكمة قويّة ، ألقته أرضًا فاقد الوعي ، وأطلّت من عينيه نظرة شديدة الصرامة ..

هتف الصقر فى حَنَق :

ــ صدِّق أو لا تصدِّق .. هذا ما حدث بالفعل ، وسنتقدَّم بشكوى رسميَّة ، وأنت تعرف القانون ، و .....

قاطعه (براون) فى سخرية :

ــ القانون ؟!.. إننى أعرفه بالطبع ، ولكن هل تعرفونه أنتم ؟

ثم اتجه نحو الباب ، مستطردًا فى لهجة رجل لا يعنيه الأمر :

ــ ولكن لا بأس .. تقدَّموا بشكوى رسميَّة ، وأدلُوا بأوصاف الرجل ، وسنرى ما الذى يمكننا فعله فى هذا الشأن .

لم يمكنه كتمان ضحكته الساخرة طويلًا ، وهو يهبط بالمصعد الإضافى إلى أسفل ، ولم يحاول حتى إخفاء ابتسامته الشامتة ، وهو يستقلّ سيارته ، وينطلق بها إلى منزله ، الذى لم يكد يدخله ، حتى هتف فى سعادة :

ــ رائع .

أتاه صوت من مقعد قريب ، يقول فى هدوء :

ــ ماذا تقصد بتلك الكلمة ؟

انتفض جسد (براون) ، وانتزع مسدَّسه بحركة سريعة ، وهو يضىء رَدْهَة منزله ، ويلتفت إلى مصدر الصوت ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يعيد مسدَّسه إلى جرابه تحت إبطه ، قائلًا :

ــ أهو أنت ؟!.. كيف حالك يا عزيزى (أندريه) ؟.. كيف دخلت إلى هنا بحق الشيطان ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

ــ لماذا تستخدم تلك العبارة المقيتة دَوْمًا يا (براون) ؟.. لِمَ لا تقول (بالله عليك) مثلًا ؟

ضحك (براون) ، وقال وهو يلقى جسده فوق المقعد المقابل :

ــ حسنًا يا صديقى .. كيف فعلت كل هذا برجال (أوكونور) بالله عليك ؟.. لقد حطَّمتهم تحطيمًا ، وحوَّلت شقة زعيمهم الفاخرة إلى خرائب !!..

غمغم (أدهم) فى هدوء :

ــ لم يكن ماذا ؟.. يا لك من رجل متواضع !!.. لقد بدا

أطلق (براون) ضحكة عالية ، وهو يقول :

ــ لم يكن ماذا ؟.. يا لك من رجل متواضع !!.. لقد بدا هؤلاء المساكين كما لو أن السماء قد هوت على رءوسهم .

ثم مال نحوه ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ــ ولكن لماذا لم تطلق رصاصة واحدة عليهم ، على الرغم من أنك كنت تحمل مدفعين رشاشين ، ومسدَّسين ؟

أجابه (أدهم) فى ضجر :

ــ لم تكن هناك ضرورة إلى ذلك ، ثم إننى أكره سفك الدماء بلا طائل .

حدّق (براون) فى وجهه بدهشة ، قبل أن يغمغم فى حيرة :

ــ تكره سفك الدماء ؟!.. يالك من رجل !!.. هل تنتمى إلى ..... ؟

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ــ دعنا لانضيع الوقت أيها الملازم ، فأنا أحتاج إلى معاونتك .

سأله (براون) فى اهتمام :

ــ ما الذى يمكننى أن أفعله لك ؟

نهض (أدهم) من مقعده ، وعقد كفّيه خلف ظهره ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ ما معلوماتك عن قلعة (أوكونور) فى (واشنطن) ؟

رفع (براون) حاجبيه ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ هل يمتلك قلعة هناك ؟

تنهّد (أدهم) ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. من الواضح أنك لاتعلم عنها شيئًا .. دعنا نبدّل السؤال إذن .. ما مدى استعدادك ؛ لمعاونتى على القضاء على ذلك الوغد ؟

أجابه (براون) فى حماس :

ــ إلى أقصى مدى ممكن .

استدار إليه (أدهم) ، وسأله فى حزم :

ــ حتى ولو اقتضى ذلك سفرك فورًا إلى (واشنطن) ، بصحبتى ؟

نهض (براون) فى حماس ، هاتفًا :

ــ حتى ولو اقتضى الأمر سفرى إلى الجحيم نفسه .

ثم عاد يسأله فى قلق :

ــ ولكن ، هل ستترك زميلتك وحدها فى المستشفى ؟

اكتسى وجه (أدهم) بالحزن ، وهو يغمغم :

ــ إننى أخشى رؤيتها ، بعد ما أصابها .

ثم استعاد وجهه وصوته صرامتهما ، وهو يستطرد :

ــ ثم إنه هناك من سَيُعْنَى بها بدلًا منّى .

ابتسم (براون) فى خبث ، وهو يقول :

ــ السفير المصرى مثلًا ؟!

عقد (أدهم) حاجبيه فى شدة ، وهو يجيب فى حزم واقتضاب :

ـــ كلا .

أدرك (براون) من لهجة (أدهم) ، أنه لا ينوى الاستطراد فى هذا الأمر ، فمطَّ شفتيه فى أسف ، ثم عاد يسأله فى اهتمام وحماس :

ـــ ما الذى تريد منّى أن أعاونك به ، حينما نسافر معًا إلى (واشنطن) ؟

شرد (أدهم) ببصره ، وهو يسأله فى هدوء :

ـــ لقد قلت لى من قبل : إنك تهوَى قيادة الطائرات ، فهل تجيد قيادتها أيضًا ؟

أشار (براون) إلى صدره بإبهامه ، وهو يقول فى فخر :

ـــ إننى حاصل على وسام الشجاعة فى (فيتنام) ، حيث كنت طيّارًا حربيًا حينذاك ، قبل أن يتمّ تسريحى ، فور انتهاء الحرب .

غمغم (أدهم) فى ارتياح :

ـــ عظيم .

ثم استدار إلى (براون) ، ووضع يده على كتفه ، قائلًا فى حزم :

ـــ استعد إذن يا صديقى ، فسأمنحك الفرصة ؛ لاستعادة مهاراتك القتالية ، فى عالم الطيران .

وازداد صوته حزمًا وصرامة ، وهو يستطرد :

ـــ سننقضّ على (قلعة الصقور) .. جوًّا .

* * *



٩ — التقرير ..

استقرَّ (توماس ألبى)، مدير المخابرات المركزية الأمريكية، خلف مكتبه ، فى الصباح التالى ، وراجع بعض الأوراق والتقارير ، التى قدمتها إليه سكرتيرته ، وذيل بعضها بتوقيعه ، ثم طلب منها الانصراف ، وهو يقول فى اهتمام :

— أبلغى (بيرت) أننى أرغب فى رؤيته على الفور .

أومأت السكرتيرة برأسها فى هدوء ، وغادرت الحجرة ، فنهض (توماس) من خلف مكتبه ، وراح يدور فى أرجاء حجرته بتوتر ، حتى سمع صوت طرقات هادئة على باب حجرته ، فقال فى لهفة :

— ادخل يا (بيرت) .

دخل إلى الحجرة أحد الرجال الثلاثة ، الذين كانوا يرافقونه ، حينما التقى بـ(أدهم) فى (القاهرة) ، واتجه نحوه فى خطوات مسرعة ، فسأله (توماس) فى لهفة وقلق :

— ما آخر الأخبار عن (أدهم صبرى) ؟

عقد (بيرت) حاجبيه ، وهو يقول :

— ليست بالأخبار السارَّة يا سيِّدى .

هوَى قلب (توماس) بين قدميه ، وهو يغمغم فى ارتياع :

— هل فتك به (أوكونور) ورجاله ؟

أجابه (بيرت) فى حزم :

— كلَّا يا سيِّدى .. ليس بعْدُ .

سأله (توماس) فى توتُّر :

— ماذا حدث إذن ؟

تنحنح (بيرت) ، ثم قال فى اهتمام :

— لقد كانت الخُطَّة تسير كما يرام ، وأثار ذلك المصرىّ اهتمام (أوكونور) ، تمامًا ، كما قدَّرنا ، وكان من الممكن أن يؤدِّى هذا إلى إعجاب (أوكونور) به ، إلى الحدِّ الذى يجعله يعرض عليه الانضمام إلى صقوره ، لولا أن قطع المصرىّ السبيل إلى ذلك ، وتحوَّل فجأة إلى العداء العلنىّ ضد (أوكونور) ، حتى أنه هاجم شقته الفاخرة فى (نيويورك) ، ولقَّن رجاله درسًا قاسيًا ، وحطَّم الشقة على بكْرة أبيها .

هتف (توماس) فى ذهول :

— ولماذا فعل ذلك ؟!

أجابه (بيرت) فى استنكار :

ــ انتقامًا لزميله .. لقد تسبَّب رجال (أوكونور) فى إصابة ذراعها اليسرى بالشلل ، ويبدو أن ذلك المصرىّ مُغرم بها للغاية ، حتى أنه تجاهل كل القواعد ؛ لينتقم لها .

ثم مطَّ شفتيه ، وهو يستطرد فى ازدراء :

ــ لقد كنا نظنه رجلًا قويًّا ؛ لا شأن لعمله بعواطفه .

عقد (توماس) حاجبيه ، وهو يغمغم فى صرامة :

ــ ما زال أفضل رجل مخابرات فى رأيى يا (بيرت) .

ثم اتجه نحو نافذة حجرته ، وراح يتطلَّع منها إلى الطريق بعض الوقت ، قبل أن يستطرد فى اهتمام :

ــ إن هذا الرجل لم يخسر عملية واحدة فى حياته كلّها يا (بيرت) ، على الرغم من أنه قد واجه منظمات تثير الرُّعب فى قلوب الجميع .. حتى نحن ، وتاريخه يؤكِّد أنه رجل بالغ الذكاء ، يكره دومًا التقيُّد بالخطط الموضوعة مسبقًا ، ويفضِّل أن ينتهج أسلوبه الخاصّ ، وهذا الأسلوب يبدو أحيانًا عجيبًا ، مثيرًا للغيظ والجنون ، ولكنه يفلح دائمًا .

غمغم (بيرت) فى اهتمام :

ــ هل تعتقد أنه سينجح فى مهمَّته يا سيِّدى ، على الرغم من كل هذا ؟

صمت (توماس) لحظة ، قبل أن يجيب فى خفوت :

ــ أتعشَّم ذلك .

ران الصمت لحظات ، قبل أن يقول (بيرت) فى قلق :

ــ ولكننى ما زلت أشعر بالضّيق والسّخط يا سيِّدى ؛ لأننا نستعين بضابط مخابرات مصرىّ ، سيتاح له تعرُّف بعض وسائلنا ، وسيؤسفنى كثيرًا أن أمنحه قائمة جواسيس وعملاء (الموساد) فى الشرق الأوسط .

تمتم (توماس) فى توتُّر :

ــ دعْهُ ينجح أوّلًا فى مهمَّته ، ويقضى على (أوكونور) وصقوره ، وبعدها ..

صمت بغتة ، قبل أن يتمّ عبارته ، فسأله (بيرت) فى فضول :

ــ وبعدها ماذا يا سيِّدى ؟

أطرق (توماس) برأسه أرضًا ، وهو يقول فى ضيق :

ــ لا يروق لى ما تحتمه الأمور يا (بيرت) ، ولكن هذا المصرىّ ــ فور نجاح مهمَّته ــ سيتحوَّل إلى شوكة فى حلقنا مدى الحياة ، ولكننا سنمهِّد له السبيل ، حتى ينجح فى مهمَّته ، وبعدها .. وبعدها .....

ردّد الكلمة الأخيرة أكثر من مرّة ، قبل أن يحسم أمره ، ويستطرد فى حزم :

ـ سنقتله .. وندفن معه أسرارنا .

ابتسم (بيرت) فى هدوء ، وقال :

ـ نعم يا سيّدى .. هذا أفضل الحلول .. سنقتله .

* * *

ألقى (أوكونور) جسده فوق مقعده الوثير ، داخل قلعته الحصينة ، وهو يهتف فى مزيج من الذّهول والارتياع :

ـ ماذا ؟!.. حطّم شقة (نيويورك) ؟!

أجابه (دوايت) فى مرارة :

ـ نعم يا جنرال .. لقد باغت رجالنا ، وألقى عليهم القنابل ، ثم اقتحم الشقة ، ودمّرها تمامًا .

زاغت عينا (أوكونور) ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـ هل حطّم حجرة نومى ، التى ابتعتها بربع مليون دولار ؟

أومأ (دوايت) برأسه إيجابًا ، فعاد (أوكونور) يغمغم فى ألم :

ـ وحوض الأسماك الكبير ؟

مرّة أخرى أومأ (دوايت) برأسه إيجابًا ، فاربَدّ وجه (أوكونور) ، وأطلّ من عينيه غضب هائل ، وهو يصرخ :

ـ الحقير !!

وضرب بقبضته مسند مقعده فى ثورة ، وهو يصرخ :

ـ سيدفع ثمن ذلك ، سيدفع ثمن كل قطعة أثاث حطّمها فى منزلى .

وهبّ من مقعده ، وهو يسأل (دوايت) فى غضب :

ـ هل أعددت لى التقرير ، الذى طلبته عنه ؟

ناوله (دوايت) ورقة كبيرة ، وهو يقول :

ـ ها هو ذا يا جنرال .. لقد جمعت فيه أسماء كل خصوم ذلك المصرىّ ممّن لا يزالون على قيد الحياة ، ويعرفون أدقّ الدقائق عنه .

اختطف (أوكونور) التقرير من يد ضابطه ، وقرأ الأسماء المدوّنة به فى سرعة ، ثم توقّف عند اسم معيّن ، وهو يزوى ما بين حاجبيه ، مغمغمًا فى دهشة :

ـ هل هذا الاسم صحيح ؟

أجابه (دوايت) فى ثقة :

ـ بالتأكيد يا جنرال .. كل الأسماء المدوّنة بالتقرير صحيحة .

تمتم (أوكونور) فى حيرة ، وهو يعيد قراءة الاسم .

— عجبًا !!..

ثم رفع عينيه إلى (دوايت) ، مستطردًا فى حزم :

— حاستى تقول إننا سنجد غايتنا ، عند ذلك الاسم .

غمغم (دوايت) فى احترام :

— بالتأكيد ياجنرال .

أشار (أوكونور) إلى الاسم فى انفعال ، قائلًا :

— إذن ، فلنتحد مع خصم الشيطان هذا يا (دوايت) ، فهو سيوصلنا إلى نقطة ضعفه ، وعندئذ ..

برقت عيناه ببريق وحشىّ شرس ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة صفراء ، وهو يستطرد فى بطء وتلذذ :

— عندئذ أجتثُّ عنقه .. وبكلّ سرور ..

* * *

غادر الملازم (براون) نادى الطيران فى (واشنطن) ، فى خطوات سريعة ، واتجه نحو سيارة عاديّة المظهر ، تنتظر أمام النادى ، وجلس على المقعد المجاور لسائقها ، وهو يقول لهذا الأخير فى اهتمام :

— لقد استأجرت طائرة هذا المساء ، ولكن المعلومات التى عرفتها عن قلعة (أوكونور) ، تجعلنى أرتجف من الآن .

وأخرج من جيب معطفه ورقة مطويّة ، فردها ، وراح يقرأ ما بها ، قائلًا فى اهتمام شديد :

— إن المجال الجوّىّ المحيط بالقلعة ، منطقة محظورة ، لايجوز اجتيازها إلّا بالنسبة لحاملى التصاريح الخاصّة ، وهى مقامة فوق قمة جبل وعر ، يبلغ ارتفاعه كيلومترين عن سطح الماء ، تنبت فوقه أشجار كثيفة ، تجعل تسلّقه فى حكم المستحيل ، وقمته كلها محاطة بأسلاك مكهربة ، يجرى فيها تيار كهربى ، تبلغ قوّته ألف (فولت) ، وارتفاعها ثلاثة أمتار ، وهناك دوريّات من الحرس المسلّح تجوب المكان ليلَ نهار ، وآلات تصوير تليفزيونية تشاركهم ، وهناك ترخيص بقتل كل من يقترب من القلعة ، برًا أو جوًا ، دون موافقة قاطنيها .. باختصار ، إن اقتحام ذلك المكان مستحيل .

تجاهل (أدهم) كل تلك المعلومات ، التى يعلمها جيّدًا من قبل ، وهو يسأل (براون) فى هدوء :

— وماذا عن تقرير الأحوال الجوّيّة لهذا اليوم ؟

مطّ (براون) شفتيه ، وهو يقول :

— ستتكثّف السُّحب مع الغروب ، وتحجب ضوء القمر والنجوم فى المساء ، وهناك احتمال سقوط أمطار فى الفجر .

ابتسم (أدهم) ، وهو ينطلق بالسيارة ، قائلاً :

ــ إنها ليلة جميلة إذن .

ارتفع حاجبا (براون) ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ ليلة جميلة ؟!.. أىّ جمال فى هذا يا رجل ؟

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

ــ الجمال فى هذا هو أن الليلة تُعَدّ مثالية ، بالنسبة لمن ينوى التسلُّل إلى القلعة ليلاً ، دون أن يفضحه ضوء القمر ، أو تكشفه النجوم .

همهم (براون) بعبارة ساخطة ، قبل أن يقول فى جِدّة :

ــ إنهم لا يحتاجون لضوء القمر ؛ لكشف المتسلّلين ، فهناك جهاز رادار يعلو القلعة ، وسيكشفون وصولنا ، فور دخول طائرتنا الصغيرة إلى مجالهم الجوّى .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ــ ليس حينما نكون على ارتفاع ثلاثة كيلومترات يا صديقى .

هتف (براون) فى دهشة واستنكار :

ــ كيف يمكننا اقتحام القلعة إذن ، لو أننا سنحلّق على ارتفاع ثلاثة كيلومترات ؟

أجابه (أدهم) فى ثقة ، وبساطة :

ــ لن نقتحمها بالطائرة يا صديقى ، بل سأهبط إليها .

اتسعت عينا (براون) ، وهو يهتف فى ذُعْر :

ــ هل تعنى ..... ؟

قاطعه (أدهم) فى حزم :

ــ نعم يا صديقى ، سأقتحم (قلعة الصقور) وَحْدى .. وبِمظلّة هبوط فَقَطْ ..

* * *



١٠ ــ الهبوط إلى الجحيم ..

ارتفع أزيز الطائرة الصغيرة ، وهى تحلّق فوق (واشنطن) ، فى طريقها إلى (قلعة الصقور) ، يقودها الملازم (براون) ، الذى شعر بقلق وتوتُّر بالغين ، حينما بدأ (أدهم) يرتدى مظلّة الهبوط فى ذراعيه ، ويعقد حزامها حول وسطه ، فسأله فى جدّة :

ــ هل أنت واثق من أنك ستنجح بمفردك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يفحص مسدّسه :

ــ لن تكون الخسائر جسيمة ، لو أننى لم أفعل يا صديقى .

هتف (براون) فى حنق :

ــ هذا ما تظنه .

ابتسم (أدهم) فى صمت وهدوء ، فاستطرد (براون) فى انفعال :

ــ إنك تقدم على عمل انتحارىّ يا رجل ، ولست تملك

سوى مسدّس ومدفع آلىّ ، وبعض قنابل يدوية .. صدّقنى إنه انتحار .. هل تعلم كم رجلًا داخل تلك القلعة اللّعينة ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ــ ما يقرب من ثمانين رجلًا .

صاح (براون) فى سخط :

ــ وتصرُّ على الهبوط وحدك ، على الرغم من ذلك ؟!

غمغم (أدهم) :

ــ إنها فرصتنا الأخيرة .. والوحيدة .

مطَّ (براون) شفتيه فى حنق ، وهو يغمغم :

ــ تقصد أنها فرصتك أنت .

قال (أدهم) فى هدوء :

ــ لا فارق يا صديقى .. المهم أن ننتهى من (أوكونور) ورجاله الأوغاد .

ران الصمت لحظة ، ثم هتف (براون) :

ــ هل سبق لك أن فعلتها ؟

سأله (أدهم) :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه فى اهتمام :

ـ أخبرني هل سبق لك أن اقتحمت بمفردك قلعة منيعة ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول في بساطة :

ـ كلا .. ليس إلى هذا الحد .

عاد (براون) يمطّ شفتيه في حنق ، وهو يغمغم :

ـ يا لك من رجل !!

ثم استطرد في جدّيّة :

ـ استعد .. إننا الآن فوق (قلعة الصقور) .. سأدور حولها دورة أخيرة ، ثم تقفز .

غمغم (أدهم) في هدوء :

ـ لا بأس .

واتجه إلى باب الطائرة الصغيرة ، وهو يهتف بـ (براون) :

ـ اعتنِ بنفسك .

غمغم (براون) في مرارة :

ـ أنت أجدر منّي بهذه النصيحة .

ثم عاد يلزم الصمت ؛ فقد كان يعلم أن (أدهم) في طريقه إلى الهبوط في قلب بركان .. بركان من الجحيم ..

* * *

تقدّم (دوايت) ، في خطوات ثابتة ، نحو قائده ، ووقف أمامه مؤدّيًا التحية العسكرية ، وهو يقول :



فقد كان يعلم أن (أدهم) في طريقه إلى الهبوط في قلب بركان .. بركان من الجحيم ..

— عثرنا على خصم ذلك الشيطان أيها الجنرال .

تألقت عينا (أوكونور) فى انفعال ، وهو يهتف :

— هنا ؟.. فى (واشنطن) ؟!

أجابه (دوايت) :

— كلا يا جنرال .. فى (باريس) ، ولقد أجرينا اتصالاتنا ، وسيصل إلى هنا مساء الغد ..

ابتسم (أوكونور) فى ظفر ، وهو يقول فى ارتياح :

— عظيم .. إنها اللبنة الأولى ، فى نعش ذلك الشيطان المصرى .. إننى .....

قاطعه بغتة صوت رنين مميّز ، أعقبه صوت أحد رجاله يقول :

— طائرة دخيلة ، مجهولة الهويّة ، تحلّق على ارتفاع ثلاثة كيلومترات .

عقد (أوكونور) حاجبيه ، وهو يميل نحو بوق الاتصال ، قائلاً فى لهجة آمرة :

— مُرْها بتحديد هُويّتها ، وإلّا أطلقنا عليها صواريخنا المضادة للطائرات على الفور .

ثم هبّ من مقعده ، واندفع خارجًا ، ليتابع ما يحدث عن قرب ، وهو يقول فى غضب :

— ويل له ، لو أنه ذلك المصرى .

تبعه (دوايت) ، وهو يهتف فى حماس :

— ولماذا نترك أنفسنا نهبًا للشكّ والحَيْرة يا سيّدى ؟.. فلنطلق الصواريخ عليها مباشرةً .

غمغم (أوكونور) فى سخط :

— يا لك من غبىّ !.. وماذا لو أنها تقلّ مندوبًا رياسيًا ، أو ماشابه ؟!.. أتريد أن تجلب لنا غداء الجميع ؟..

هتف (دوايت) :

وماذا لو أنه ذلك الشيطان ؟

أجابه (أوكونور) فى حزم :

— عندئذ سيقترب .. وسنقتله .

* * *

نقل جهاز اللاسلكى ، فى طائرة (أدهم) و (براون) ، صوت رجل المراقبة الجوية ، فى (قلعة الصقور) ، وهو يقول فى حزم :

— لقد التقطت أجهزتنا طائرتكم ، حدّدوا هُويّتكم ، أو نطلق عليكم صواريخنا الدفاعية .

غمغم (براون) فى سخط :

ـ يبدو أن أجهزتهم أكثر تطوُّرًا مما كنا نعتقد .. لقد التقطت وجودنا .

قال (أدهم) ، وهو يشير إليه بكفه :

ـ حاول أن تضيع الوقت ، حتى أقفز ، ثم ابتعد من هنا بأقصى سرعة .

زفر (براون) في حَنَق ، وهو يغمغم :

ـ ما الذى جعلنى أفقد عقلى ، وأتبعك إلى هذا الجحيم .

ثم فتح جهاز الاتصال ، وهو يقول في صوت رجل مرتبك :

ـ هنا طائرة التدريب (إكس ٩٠٠) .. لقد تلفت بُوصلة طائرتى ، ولم أعُد أدرى أين أنا .. أرجو تحديد موقعى واتجاهى :

أتاه الجواب على الفور :

ـ إلى طائرة التدريب (إكس ٩٠٠) .. أنت على خط طول (٧٧°) ، وخط عرض (٣٧°) .. وهذه منطقة محظورة .. ابتعد فورًا ، أو نطلق النار .

هتف (براون) في توتُّر :

ـ هل يمكنكم تحديد اتجاهى ؟

أتاه الجواب على الفور أيضًا :

ـ أنت تتجه إلى الشمال الشرقى ، بزاوية ثلاث وأربعين درجة .. حافظ على اتجاهك ، وستصل إلى مطار (واشنطن) .

غمغم (براون) :

ـ شكرًا .. سأطيع أوامركم على الفور .

ثم أغلق الاتصال ، وهو يستطرد في توتُّر :

ـ حسنًا .. اقفز الآن ، ولكن حَذارِ ، فمظلَّة الهبوط تفقد فاعليتها ، إذا ما صارت المسافة ، التى تفصلك عن الأرض ، أقل من ثلثمائة متر .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ اطمئن .

ثم قفز من الطائرة بلا تردُّد ، فغمغم (براون) ، وهو يبتعد بالطائرة :

ـ ياله من رجل !..

سبح جسد (أدهم) في الهواء طويلًا ، وهو يهوى من ارتفاع ثلاثة كيلومترات إلى الأرض ، واخترق السُّحب ، فلاحت له (قلعة الصقور) من أسفل ..

وواصل هبوطه ، وهو يدرس القلعة بعينيه الخبيرتين ،

المدرّبين ، فى إتقان ، وهو يعلم ــ علم اليقين ــ أن الرّادار لن يلتقط أبدا هبوط جسده ، قبل أن يفتح مظلّته ..

وتناقصت المسافة فى سرعة ، حتى صارت كيلومترًا واحدًا ، فنصف الكيلومتر ، فثلثمائة متر ..

وهنا جذب (أدهم) حبل مظلّته .. وعاد يجذبه مرّة أخرى فى قوّة وعنف ..

وكان جسده يهوى فى سرعة مخيفة ..

ولكن مظلّته لم تستجب ، ولم تفتح ..

لم تفتح أبدا .

* * *

[انتهى الجزء الأوّل ، ويليه الجزء الثانى]

(أجنحة الانتقام)

رقم الإيداع : ٣٦١٩

المؤلف



د. نبيل فاروق

قلعة الصقور

- ما الذى دفع المخابرات المركزية الأمريكية، إلى الاستعانة بـ (أدهم صبرى) هذه المرة؟
- من هو (دافيد أوكونور)؟ وما طبيعة ذلك الفريق الذى يتزعمه، والمعروف باسم (صقور أوكونور)؟
- كيف يواجه (أدهم صبرى) وحده (صقور أوكونور)؟ وهل ينجح فى اقتحام (قلعة الصقور)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٦٨



العدد القادم: أجنحة الانتقام